الباب الثانى

أساليب جديدة يبتدعها الباراسيكولوجى
للتنقيب فى أغوار التكوين الروحى والجثمانى للانسان

تمهيـــد وتبويب

تجرى الآن أبحاث الباراسيكولوجى – بمفهوم دراسة الظواهر غير المألوفة وتحليلها – على قدم وساق فى المئات من الجامعات والمعاهد المتخصصة بأساليب متطورة تماماً . وقد تطورت هذه الأبحاث وتغلغلت إلى أعماق الفيزياء الحديثة ، ومعها الرياضة ومعها الفلسفة الطبيعية ، ومعها « ما يلى الفيزياء Para Physics » ، ومعها « ما وراء البيولوجيا » Meta Biology ....

ونتج عن هذا التغلغل ، مع وجود ترابط وثيق بين هذه العلوم كلها ، أن ظهر منهج متطور لدراسة الظواهر غير المألوفة يطلق عليه منهج السيكوترونيا Psycho-tronics بمفهوم علم دراسة النشاط النووى الروحى . وهو منهج يعتبر أوفر إحاطة وشمولا من منهج الباراسيكولوجى . ويتطلب بالتالى المزيد من الخبرة ، ومن الإلمام الواسع بجوانب عديدة من العلوم الطبيعية بكل فروعها تقريباً .

أما منهج الباراسيكولوجى فهو أبسط من ذلك بكثير ، لأنه يتطلب مجرد الإلمام ببعض معطيات هذه الظواهر غير المألوفة ، بوصف أنها تتجاوز تلك الظواهر المألوفة التى يعنى بها علم النفس التقليدى . ولا يلزمنا هنا سوى القيام بجولة عامة فى بعض مسالك الباراسيكولوجى بقدر اتصالها المباشر بموضوعات التنقيب فى أغوار الفطرة الإنسانية بوجه عام . وذلك مع مراعاة أن الفطرة الإجرامية ليست أكثر

ولا أقل من أحد جوانب هذه الفطرة فى مفهومها العام الشامل لكل البنيان الروحى والعضوى للإنسان .

* * *

وهذه الأساليب الجديدة للتنقيب فى أسرار التكوين الروحى والجثمانى للإنسان يتعذر أن يتسع لها المقام الحالى اتساعاً كبيراً ، لأنها متشعبة المسالك ومتداخلة فى كل العلوم الطبيعية والإنسانية . لكن الحديث فى دور الباراسيكولوجى فى فتح هذه المسالك الجديدة يبدو لنا أمراً هاماً ، وهو يتطلب توزيعه على خمسة فصول متتالية على النحو الآتى : —

الفصل الأول :

جولة عابرة فى الباراسيكولوجى بقدر اتصاله بالتكوين الروحى والجثمانى .

الفصل الثانى :

فيما قد تثيره الفطرة الإنسانية من مباحث التفسير الطبيعى للسلوك .

الفصل الثالث :

فى التكيف مع البيئة وتفاعله مع الفطرة .

الفصل الرابع :

العلوم الإنسانية تتحرر من مادية الحياة والوجود .

الفصل الخامس :

الباراسيكولوجى يلقى أضواءه على الفطرة والتكيف .

الفصل الأول

جولة عابرة فى الباراسيكولوجى

بقدر اتصاله بالتكوين الروحى والجثمانى

المبحث الأول

صلة الباراسيكولوجى بعلم الروح الحديث

قلت فيما سبق إن « الباراسيكولوجى » هو علم دراسة الظواهر غير المألوفة، وهو الذى أخضعها لمنهج حديث أصبح متطوراً تماماً الآن ومرتبطاً بكل العلوم الطبيعية تقريباً . وهو على هذا الأساس يعتبر المدخل الطبيعى « لعلم الروح الحديث » وفى نفس الوقت المنهج العلمى للتنقيب فى أغوار ظواهر الروح بوجه عام .

ويطلق على « علم الروح » الحديث بالانكليزية **Psychic Science** كما يطلق عليه بالفرنسية **Science Psychique** . ومن الخطأ الواضح أن يتصور أى إنسان أن هذا الوصف يشير إلى علم النفس ، فإن علم النفس يعبر عنه بالسيكولوجيا (**Psychology** بالانكليزية ، وبالفرنسية **Psychologie**) . أما أى بحث يشير إلى الـ **Psychic Science** أو ما يقابله بالفرنسية فهو يشير بغير أدنى شبهة إلى علم الروح . وقد اصطلح البحاث على ذلك فى العالم أجمع منذ عرفوا سبل البحث فيه ؛ ومعهم مؤسساتهم ، ودوائرهم ، ومجلاتهم ، وكل ما يتناول بطريق مباشر أو غير مباشر البحث فى هذه الظواهر ، بما فى ذلك ثبوت الحياة بعد الموت وحصول الاتصال بين الأحياء « والأموات » .

فأصبح لهذا التعبير **Psychic Science** معنى اصطلاحى محدد يشير إلى هذا النوع من البحث ، ولا يشير إلى بحوث السيكولوجى أو علم النفس . والكلمتان **Psychology, Psychic** مشتقتان معاً من الكلمة اللاتينية **Psyché** أى العقل أو النفس . فأصبحت الأولى تدل على علم الروح وحده ، وأصبح الاشتقاق القديم **Psychology** يدل على علم النفس وحده بمفهومه التقليدى . ولأن المعنى الاصطلاحى لكلمة **Psychic** يشير الآن إلى الروح — لا إلى النفس — ويقوم على التسليم « باحتمال » بقائها بعد الموت وبإمكان الاتصال بها ، فإن الترجمة الصحيحة لكلمة **Métapsychique** ينبغى أن تكون « ما وراء الروح » لا « ما وراء النفس » .

وتعبير « ما وراء الروح » مستخدم فى بعض البلاد اللاتينية كمقابل «للباراسيكولوجى» فى البلاد الأنجلوسكسونية والألمانية . وكلا التعبيرين يشيران إلى دراسة كافة الظواهر الوساطية بدون ارتباط مبدئى بمصدرها . وهذه الدراسة تمثل الجانب المعملى من علم الروح الحديث ، أما جوانبه النظرية فمتعددة : منها دراسة مدى الارتباط بين هذه الظواهر الوساطية وبين حقائق العلوم الأخرى . ومنها أيضاً دراسة مدى الارتباط بين هذه الظواهر وبين المذاهب الفلسفية الطبيعية المعاصرة والمندثرة . فهو يفتح الباب واسعاً لدراسة المدارس المقارنة على أسس مستنيرة عصرية . ولذلك قلنا فيما سبق إن هذا العلم الروحى أصبح يمثل الرابطة الحقيقية التى تجمع فى عروة وثقى بين موضوعات شتى من العلم الطبيعى والفلسفة ، لمحاولة فهمها كمسالك متنوعة بغية الوصول إلى معلومات صحيحة ومترابطة فى أخطر موضوعات خلود النفس .

المبحث الثانى

« بحث أو تجريب روحى »

وليس « تحضير أرواح »

التعبير الفرنسى **Spiritisme** (بالانكليزية **Spiritism**) يشير إشارة مباشرة إلى الاتصال بالكائنات غير المنظورة ، وهو يعد على هذا الوضع فرعاً من الأصل

العام وهو « علم الروح » . ويستعمل بعض كتاب العربية وصف علم « تحضير أو استحضار الأرواح » ، كمقابل للفظ الأجنبي « اسبرتزم » وهو وصف يعوزه التوفيق بلا أدنى ريب ، لأنه يشير إلى أن الروح قد تخضع لإرادة إنسان ما ، وهـذا غير صحيح لأن الروح لا تؤمر ، وليس لأى إنسان أن يزعم أن له عليها أى سلطان .

ودور الوسيط هو — فحسب — دور من يمكنه الاستسلام لقوة واعية غير منظورة قد تريد طواعية أن تظهر نفسها بصورة ما للجالسين ، عن طريق السيطرة على جانب من وعى الوسيط متى أمكنها ذلك . وهذا الاتصال يكون لتحقيق هدف راق عند الأرواح الراقية ، وغير راق عند الأرواح غير الراقية . . أما دور الوسيط فهو سلبى بحت .

* * *

وهذه التسمية غير الموفقة « علم تحضير أو استحضار الأرواح » طالما جنت على البحث الروحى فى بلادنا ، وطالما دفعت بعض الوسطاء أو ادعياء الوساطة إلى إيهام البسطاء أن بمقدورهم تحضير أو استحضار أى روح يطلبونها ، مع أن حضور الروح يتوقف على جملة عوامل : منها إرادة الروح نفسها وظروفها ، ثم قدرتها على أن تظهر نفسها باستخدام موهبة الوسيط إن كان يتمتع حقاً بأية موهبة وساطية ، وقد يمكن للروح أن تستخدمها بحسب معلوماتها الخاصة ومرانها ، وقد لا يمكنها هـذا الاستخدام مهما بذلت من جهد .

وفى جميع الجلسات الناجحة يلزم وجود أرواح مرشدة أو حارسة على كفاية خاصة ، قد تكون إحداها بمثابة « وسيط أثيرى » بين الوسيط الأرضى وبين الروح راغبة الاتصال . وكل ذلك لا يجىء جزافاً ، بل يحتاج إلى مران ، وتنظيم ، وبيئة جادة ، وإلمام كاف بالموضوع للحكم على نجاح المحاولة أو فشلها . فدور وسيط الأرواح لا يعدو دور وسيط التنويم المغناطيسى ، وكل الفارق هو أن الأخير يخضع لإرادة منوِّم لم يتخل عن جسده المادى بعد ، أما الأول فيخضع لإرادة منوِّم قد تخلى عن جسده المادى « بالوفاة » ، وبشرط توافر عدد من نواميس طبيعية لا يعرف العلم الطبيعى عنها الآن إلا أقل من القليل .

وكل مجرب فى الظواهر الوساطية يعلم جيداً كيف أنه قد يمضى أحياناً سنيناً طوالا لمحاولة الاتصال بروح شخص معين عبثاً ، حين قد يتصل بأرواح كثيرة لم تخطر اسماؤها على باله من قبل . لأن نجاح عملية الاتصال الروحى لا يتوقف على مدى علم أى من العلماء الأرضيين ، كما لا يتوقف على إرادة الوسيط أو قدرته ، فهى عملية أكثر تعقيداً مما قد يتصور البعض عادة لأنها خاضعة لنواميس طبيعية ليس للعلم المادى عليها أى سلطان .

بل إن تسمية البحث فى الأرواح بوجه عام بأنه « العلم الروحى » لا ينبغى أن تنصرف إلى معنى ادعاء العلم بطبيعة الروح بمعنى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للإنسان هنا وهناك ، فهذه لا يعرف أحد عنها شيئاً بعد ، ولم يدع أى عالم أنه قدر أن يعرف كنهها[1] . فهذا العلم ينصب مباشرة على دراسة الروح بمعنى الجسد غير المادى للكائنات الحية ، لأنه حجر الزاوية فيه .

وهذا الجسد غير المادى متداخل فى الجسد المادى ويشغل معه نفس الحيز من الفراغ كتداخل الماء فى العود الرطب ، وهو الذى يحمل الروح فى الكائنات الحية ويستمد منها الحياة ، لكى يهبها — إلى حين — للجسد المادى عن طريق حبل أثيرى يصل بين الجسدين المادى غير المادى . فالجسد غير المادى أو الأثيرى بخصائصه الطبيعية وأهمها عدم قابليته للفناء ، وتأثيره المباشر فى الأثير ، هو محور علم الروح الحديث .

عن بعض الأوصاف الأجنبية

لا ريب أن الأوصاف الأجنبية لهذا العلم أقرب إلى الدقة والتوفيق من وصف « تحضير أرواح » . فهو يطلق عليه فيها — كما قلنا — Psychic Science بالانكليزية و Science Psychique بالفرنسية . كما يطلق على الاتصال بالأرواح وصف اسيرتزم

---

(١) ولعل هذه الحقائق كلها تعطى تفسيراً كافياً للآية الكريمة : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

Spiritisme المستمد من كلمة esprit أى روح ، لا من كلمة Soul الانكليزية أو Ame الفرنسية وهى تعبر عن الشعلة التى تهب الحياة وقد ينصرف إليها أيضاً لفظ الروح العربى فى المفهوم المألوف له . ولذا فقد آثرنا ترجمة اصطلاح Science Psychique بعبارة « علم الروح » لأنه أصبح وصفاً شائعاً معروفاً . واستعمال أى اصطلاح آخر له قد يبعد الذهن عن حقيقة موضوعه . خصوصاً وأننا تعودنا أن نستعمل كلمة « روح » العربية فى التعبير عن أكثر من معنى . فنحن نستعملها بمعنى النفس الناطقة فى الإنسان ، كما نستعملها أيضاً بمعنى الجسد الأثيرى .

فعلم الروح الحديث هو إذاً العلم الذى يعنى ببحث ظواهر الوساطة الروحية ، فضلا عما قد ترسله الأرواح من بيانات شتى عن ظروف حياتها هناك ، وعن فلسفاتها وآرائها بالإضافة إلى النظريات التى توضح الصلة بين عوالم « الأمر » و « الشهادة » فى ضوء نظريات الاهتزاز وأمواج الأثير . أما الروح التى قد يرى البعض أن البحث فيها ليس فى متناول سبل الإنسان العادية فهى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للإنسان ، ولست أعتقد أن أحداً من العلماء زعم لنفسه إمكان إخضاعها للتحليل ، أو أنه وصل إلى حقيقة كنهها .

وهكذا كان البحث فى الروح فى بلادنا ضحية عدة أمور مجتمعة حتى الآن : منها تعريفه بأنه « علم تحضير للأرواح » ، وذلك مع أن الروح لا تخضع لإرادة أى محضِّر . ومنها أن كلمة روح تستعمل فى أكثر من معنى ، ومنها بوجه خاص أن كثيراً من عناصر الشعوذة والخلط قد اندست فى الحركة الروحية ، فنأت بها تماماً عن نطاقها العلمى والخلقى وأساءت أبلغ إساءة إليها ، ولا تزال تسىء حتى الآن تحت أوصاف براقة شتى .

* * *

كما يسىء أيضاً إلى البحث الروحى اتخاذ موقف الجمود بل المناوأه بلا بحث ولا دراسة نتيجة الارتجال فى الرأى، والارتجال هو آفة العديد من المواقف السلبية

أو الضارة التى طالما أساءت إلى تطورنا العلمى والحضارى والاجتماعى وما تزال تسىء بجدارة ومهارة .

وبسبب هذا الارتجال — مقترناً بالجمود الفكرى — وقفت حتى هيئاتنا العلمية موقف الإنسان الذى لا يعيش فى هذا العصر ، ولم يسمع عن شىء اسمه البارا سيكولوجى ولا يعنيه أن يسمع عنه شيئاً ، لأن العناية به تشقيه وتضنيه عندما تضطره إلى مراجعة كل علومه ومعلوماته ، التى تجرى مراجعتها الآن فى العالم أجمع بكل همة ونشاط .

وهكذا تحولت هذه الهيئات — ومن بينها للأسف العظيم كليات موضع نشاطها الأصيل هو العلوم ، والطب ، والفلسفة ، والنفس ، والإجرام ، والعقاب ، والتربية والإعلام ، والأخلاق ، والرياضيات وغيرها . . إلى محض دواوين حكومية يسود نشاطها الأسلوب الروتينى ، أكثر مما تهيمن عليها رغبة متابعة الركب العلمى . رغم أنه يطفر طفرات سريعة الآن للاقتراب من حقائق الوجود والتباعد عن أوهامها وأخطائها البالية التى طالما ضللت خطى العرفان حتى أوائل هذا القرن .

وكارثة الارتجال فى إبداء الرأى فى هذا المجال تتجاوز بلا أدنى ريب كارثة الارتجال فى أى مجال آخر من مجالات البحث العلمى ، وذلك لفرط دقة هذا البحث وتشعب مسالكه ، واتساع نطاقه ، على ما سوف يلمسه القارىء بنفسه بعد الاطلاع على سائر أبواب هذا الكتاب .

الفصل الثانى

فيما قد تثيره الفطرة

من مباحث التفسير الطبيعى للسلوك الإنسانى

المبحث الأول

عن أهمية البحث فى دور الفطرة

كلمة عن التفسير الطبيعى للسلوك

دراسة التكوين الفطرى للإنسان تعتبر من أهم مباحث مدرسة التفسير الطبيعى لظاهرة الجريمة ، وهى المدرسة التى قامت على أكتافها دعائم علم الإجرام الحديث . وتعبير التفسير الطبيعى لظاهرة الجريمة تعبير واسع النطاق يشير إلى إسنادها إلى مجموعة عوامل طبيعية مرتبطة بالتكوين الفطرى للجانى من جميع جوانبه العضوية، والحيوية ، والنفسية . . وكلها تتفاعل معاً فى توجيه سلوكه الإجرامى ، بالإضافة إلى الظروف الخارجة عن التكوين الفطرى للإنسان التى منها طبيعة الإقليم ، والطقس ، والمحيط الحضارى ، والحالة الاقتصادية ، وغيرها .

وتوافر هذه العوامل الفطرية أدى إلى عمل تصنيفات متعددة للجناة تنتمى إلى مدارس مختلفة تسلم — على نحو ما — بوجود عدة عوامل تنتمى إلى الشكل الخارجى للإنسان ويطلق عليها مورفولوجية ، وأخرى تنتمى إلى قوانين الحياة التى توجه تصرفاته ويطلق عليها بيولوجية ، وأخرى تنتمى إلى تكوينه الروحى أو ان شئت النفسى ويطلق عليها نفسية Psychologiques أو روحية Psychiques .

وتوافر هذه الدوافع الموجهة للسلوك كلها أمر يجعل من العلماء من يعتقد أنه يوجد أكثر من ارتباط حقيقى بين التكوين الفطرى للإنسان وبين تصرفه المضاد للمجتمع . وبالتالى فإنه ينبغى أن نبدأ من الجريمة ونتابعها إلى منبعها فى شخص فاعلها حتى نتعرف على شخصيته ، وعلى نمط هذه الشخصية .

وتأسيساً على ذلك نشأت علوم حديثة وثيقة الصلة بالسلوك الإجرامى منها « علم النماذج الحيوية » Biotypologie الذى ينظر إلى الكائن الإنسانى بوصفه نموذجاً حيوياً biotype . وهو يدرس هذا النموذج من عدة زوايا ، فإذا كانت هذه الزاوية هى زاوية الشكل يطلق عليه « علم الأشكال الخارجية للكائنات » أو المورفولوجيا Morphologie . وإذا كانت هذه الزاوية هى زاوية الطبع يطلق عليه « علم دراسة الطباع » Caractérologie وهما علمان يهدفان معاً إلى دراسة الصلة بين التكوين الروحى والتكوين الجسدى ، وتربطهما صلة وثيقة بعلم « السلالات أو الأجناس البشرية » .

الطبع بين الفطرة والاكتساب

وقد اختلفت الآراء حول تحديد المعنى المقصود من تعبير « طبع » ، فعرفه ريبو Ribot بأنه يعبر عن « أسلوب الإحساس ورد الفعل » بحيث لا يدخل فى هـذا التعريف الذكاء ، حين عرفه فوييه Fouilée تعريفاً واسعاً يتضمن جميع الخلجات العقلية والعاطفية . كما اختلفت الآراء حول تحديد طبيعة الطبع ، فأدخل فيه بعض العلماء الميول الفطرية والمكتسبة أيضاً ، حين قصره البعض الآخر على الميول الفطرية ، دون المكتسبة . ولذا اختلفت الآراء حول إدخال الوسط أو عدم إدخاله كعامل له دوره فى تكوين الطبع .

وفى هذا الشأن يلاحظ الدكتور بوفان Boven من لوزان أن « الطبع نتاج الشخص والوسط ، فهو طابع مزدوج ومشترك للشخصية على الحياة وللحياة على الشخصية » ، وهو ما عبر عنه كرتشمر E. Kretschmer بأن « الطبع يتكون من نتيجة التعامل المستمر الذى يجرى بين الذات العاقلة والتجارب التى مرت بها » .

ويلاحظ الدكتوران لانيل لافاستين **Laignel Lavastine** وف. ف ستانسيو **V. V. Stanciu** فى هذا الشأن أن الطبع لا يمكن أبداً أن يكون محض فطرة ولا محض اكتساب . لأن الشخصية الإنسانية أو الفردية بحسب تعريفها قابلة للتحول ، وللسيولة ، وللتطور بتأثير الوسط والزمن والظروف .

فالطبع **caractère** فى النطاق النفسى يمثل ما تمثله السجية **tempérament** فى نطاق وظائف الأعضاء . ورغم التسليم ببقاء الميول الفطرية فإن ردود الفعل الخارجية تظل متغيرة . فالإنسان بنفس طبعه الشبابى يحوز عادات مكتسبة تحت تأثير العوامل الخارجية قابلة لأن تدعم ميوله الفطرية أو لأن تنال منها .

والتسليم بأن الطبع محض اكتساب ، وبالتالى متكيف مع الوسط معناه تحديد عدد الطباع بعدد الأوساط ، والخلط بين الطبع الإنسانى وسيكولوجية الحيوانات العديمة الفقرات (مثل الفراشات ، والذباب ، والنمل ، وبعض الزواحف والثعابين) . فإنه فحسب بفضل الفارق الموجود بين الطبع والشخصية **personnalité** يمكن الوصول إلى قبول حقيقتين تبدوان متعارضتين فى الظاهر : هما تحقيق شخصية الإنسان بذاته ، والتغير المستمر للروح الإنسانية ، هذا التغير الذى عبَّر عنه تعبيراً شعرياً نواى **Noailles** بقوله « لن تكون لنا أبداً الروح التى لنا فى هذه الليلة »[1] . وهذا ما يقتضى لزوم التمييز بين مبدأ الذات الخالدة فى الإنسان **ego principle** وبين شخصيته القابلة للتطور وللتكيف البطىء [2] .

وأساليب البحث فى التكوين الفطرى متعددة ، وأولها هو الأسلوب الأنتربولوجى الذى يعتمد على قياس الأبعاد العضوية ، ودراسة الملامح الجثمانية حال الحياة كما يعتمد على تشريح الجثث للتعرف على ما قد تخفيه من أسرار فى شأن التكوين العضوى.

---

(١) **Laignel Lavastine et v.v. Stanciu : Précis de Criminologie op. cit., pp. 61-63.**

(٢) للمزيد راجع مؤلفنا فى « التكوين الروحى وأمرار السلوك » المرجع السابق جـ ٢ ص ٩٠٠ – ٩٢٦.

وبطبيعة الحال فإن هذا الأسلوب مغاير تماماً لأسلوب البحث فى تأثير البيئة الاجتماعية أو الجغرافية فى السلوك الإنسانى .

طائفة من الغاز الوراثة

وفى الواقع ينبغى التسليم بأن كل مظاهر السلوك الإنسانى هى نتيجة تفاعل بين البيئة والوراثة بغير أن يستطيع العلم حتى الآن تقدير مدى تأثير كل من هذين العاملين بالنسبة للعامل الآخر . وقد يتعذر وضع ضابط عام للتحديد ، لأن المشكلة أكثر تعقيداً بمراحل كثيرة مما قد يتصور المرء لأول وهلة ، خصوصاً وأن نواميس الوراثة لا تزال محوطة بالغموض الشديد فى كل جوانبها تقريباً .

ودراسة مظاهر السلوك الإنسانى بوجه عام والسلوك الإجرامى بوجه خاص عند التوائم المتطابقين تعد من أنجح الوسائل للتعرف على تأثير كل من الوراثة والبيئة فى هذا السلوك ، وذلك بالإضافة إلى دراسة أسر المجرمين دراسة إحصائية على نطاق واسع ، وتتبع ذريات بعض المجرمين الكبار خلال أجيال عديدة كما فعل بعض الباحثين .

وهى دراسات شاقة ، بل مفرطة فى مشقتها وفى جسامة متاعبها ، وفيما تتطلبه دائماً من توسيع رقعة البحث إلى أكبر مدى ممكن لإمكان التوصل إلى تحديد العنصر أو العناصر الثابتة التى قد تلقى أضواءها على بعض نواميس الوراثة ، وهى لا تزال حتى الآن محوطة بالغموض الشديد . ولا تزال نهباً لافتراضات نظرية متنوعة ، وأرضاً خصبة للاجتهاد ، وللنقاش الطويل .

وحتى دراسات الدارسين فى الوراثة تكشفت عن وقائع عديدة يتعذر تعليلها بحسب قوانين الوراثة المعروفة ، خصوصاً ما كان متعلقاً منها « بالوراثة المتحدة الأزمنة » Hérédité Homochrone حيث قد لوحظ فيها ظهور أعراض جثمانية أو نفسانية عند بعض الأشخاص فى مرحلة أو أخرى من مراحل العمر ، ثم ظهور نفس هذه الأعراض أو بعضها عند بعض فروعهم فى نفس السن التى ظهرت فيها نفس الأعراض عند الأصول .

وغرابة هذا النوع من الوراثة تتضح من زاوية أن الصفات الجثمانية أو النفسية تظهر عند الفرع وتبدو عديمة الصلة بمقابلها عند الأصول بالنظر لظهورها متأخرة فى العمر بعد أن ولد الفرع ، وبالتالى بعد أن تم لقاحه . وذلك مع أن من المقرر أن سبب الوراثة ينحصر فى المادة المكونة للجنين التى تتألف من البويضة واللقاح ، فكيف يتأتى أن يرث المولود صفة لم تكن موجودة فى أبويه وقت أن تمت عملية اللقاح ؟ ولماذا لا تظهر هذه الصفة الجثمانية أو النفسية إلا فى نفس السن التى ظهرت فيها عند أحد أصوله ؟ !

ومن هذه الحالات الغريبة مارواه تشارلس داروين Ch. Darwin من أن شخصاً قد أصيب بالعمى بسبب غير معلوم عندما كانت سنه ١٧ سنة ، ثم أصيب بنفس المرض ٣٧ فرداً من أولاده وأحفاده فى نفس السن التى أصيب فيها هو . وأن آخر قد أصيب بنفس العاهة عندما كانت سنه ٢١ سنة فأصيب بها أربعة من أولاده فى نفس السن . وأن أخوين قد أصيبا بالصمم عندما كانت سنهما ٤٠ سنة ، وقد ظهر أن أباهما وجدهما قد أصيبا بنفس العاهة فى نفس السن ! !

وروى أيضاً سيدجويك Sidgwick أن رجلا قد أصيب خنصره بانحناء نحو باطن الكف ، بغير توافر سبب معروف ، ثم تكررت نفس الظاهرة عند ولديه فى نفس السن التى حدثت فيها عنده .

وروى سكيرول Squirol عدة حالات ظهرت فيها عدة أمراض عصبية عند الفروع فى نفس السن التى ظهرت فيها عند أصولهم . ومن بين هذه الحالات حالة شخص قد انتحر وهو فى أواخر العقد الخامس من عمره ، وتبين أن والده وجده قد انتحرا فى هذه المرحلة نفسها من العمر ، وأن أسرة قد أصيب جميع أفرادها بالجنون فى سن الأربعين .

واستنبط ريبو Ribot من عدة أمثلة تتعلق بانتحار الفروع فى السن نفسها التى انتحر فيها أصولهم أن الوراثة المتحدة الأزمنة تكاد تكون مطردة فى انتقال الميـل إلى الانتحار من الأصول إلى الفروع .

وروى مورو Moreau فى كتابه عن « علم النفس المرضى » أن رجلا قد ذعر من الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩ فأصيب بجنون قضى عليه أن يحبس نفسه فى حجرة فى منزله ، وظل على هذه الحال لمدى عشر سنين ، وأن ابنته عندما بلغت نفس السن التى أصيب فيها أبوها بهذا المرض أصيبت به كذلك، وحبست نفسها فى حجرتها بدون أن يكون هناك أى سبب خارجى مفهوم يحملها على هذا التصرف .

وقرر لوكاس Lucas أن بعض الأمراض المخية كداء النقطة Apoplexie ، والصرع Epilepsie تنتقل عن طريق الوراثة إلى الفروع وتظهر أعراضها عندهم فى نفس السن التى ظهرت فيها هذه الأعراض عند الأصول ، وهكذا الشأن فى العديد من الظواهر الغريبة التى لا تزال تفتقر إلى تعليل مقنع علمياً فى إطار علم الوراثة[1] .

وعلى العموم فإن دور الوراثة فى السلوك الإنسانى بوجه عام ما يزال مثاراً على أوسع نطاق ، وما تزال هناك أمور كثيرة لم يحسمها علم الوراثة بعد ولا ينتظر أن يحسمها قريباً .

المبحث الثانى

ثمة ألغاز أخرى عديدة

فى الفطرة وفى الوراثة

لا يقل خطورة عن تحديد صلة الإنسان بالزمان تحديد صلته أيضاً بالمكان . . فلماذا يولد الإنسان فى وطن معين ، وفى أسرة معينة ، وفى جنس معين ؟ ! هل يحدث هذا كله صدفة واعتباطاً أم نتيجة تخطيط سابق ؟ ! .

إن معادلات الرياضة الحديثة تنفى الفوضى فى أية ظاهرة من ظواهر الوجود .

---

(١) للمزيد راجع على عبد الواحد وافى « الوراثة والبيئة » طبعة ثانية ١٩٧٠ ص ١٥ – ٣٦ .

وقوانين الوراثة لا تعطينا أية إجابات شافية فى هذا الشأن ، بل ما تزال قاصرة عن تفسير العديد من ظواهر الوراثة التى قد تبدو لأول وهلة شاذة وغريبة . بل هى عاجزة عن تقديم أية إجابة عن مصدر الحمل ، وبالتالى مصدر العقل الذى يحوزه الوليد فى جانبيه الشعورى واللاشعورى ، ناهيك بمصدر الحياة فى الجنين وهو ما يزال فى رحم الأم .

أما الاختبارات « المعملية » فى إرجاع الذاكرة إلى الوراء فقد قدمت إجابات شافية عن عدد ضخم من التساؤلات الهامة فى هذا الشأن . وهى تتحصل فى جملتها فى وجود روابط كارمية عريقة بين الجنين وبين أسرته ، وسلالته ، ووطنه ، وعصره أيضاً[1] .

* * *

ثم فلنتساءل سؤالا طبيعياً جداً — فى هذا المقام بالذات — وهو هل نجح العلم المادى فى تعليل الوراثة ، والتكوين الفطرى للانسان ؟ هل حقيقة يمكن الجزم بأنه فى اللحظة التى تدخل فيها خلية الأب فى بويضة الأم يتحدد كل شىء فى جنين المستقبل : جنسه ، وملامحه ، ولونه ، وصفاته ، وأمراضه ، وأخلاقه ، وميوله . . هل حقاً كل ذلك تحدده خلية الأب التى يبلغ وزنها ٦ من مليون من الجرام والتى يحوز منها بلايين لاتحصى فى القذيفة الواحدة . . ويقال إنها بذاتها — أو باتحادها ببويضة الأم — تحوز كل هذه الخصائص مجتمعة ؟ ! !

أخشى أن يكون هذا تدليساً باسم العلم لا علماً صحيحاً ! وأخشى أن تكون هذه مضاربة جوفاء كالعديد الذى لا يحصى من مضاربات العلم الجوفاء التى ألقيت على عواهنها فى عصر أغبر كان العلم قد ارتبط فيه تماماً بالفلسفة المادية للوجود . لقد قرأت فى التكوين الفطرى الكثير من المراجع المعتمدة محاولا أن أجد تعليلا واحداً مقنعاً للوراثة من الناحية البيولوجية فلم أجد . وعندما نقبت فى البحوث الروحية وجدت أن بحاث الروح يقدمون هذا التعليل ، بأسانيد واضحة مترابطة يتعذر رفضها إلا لمن أعد ذهنه مقدماً للرفض وللمكابرة .

---

(١) راجع فيها مؤلفنا « فى العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم » طبعة ثالثة ١٩٨٧ ص ١٦٠ — ٢٧٨ .

ثم من قال إن خلية الأب أو بويضة الأم لها تكوين عاطفى ، ولها ذاكرة شعورية أو لا شعورية ، ولها خصائص الإنسان ؟ قد يكون لها حياة أو قدرة على الحياة كالنملة أو كالذبابة ، أو كالدودة الصغيرة ، أو ربما كالفيروس ، أما ما عدا ذلك فهى محرومة منه بتاتاً ، ولم ينازع أى إنسان فى ذلك .

وأخشى أن تكون البيولوجيا التقليدية قد حاولت فحسب تعليل وراثة الجسد ، أما الروح فلم تحاول تعليلها لأن الروح لا تورث ! ولأن شخصية صاحبها تمثل نتاج تطور موغل فى القدم . وعندما أنكرت البيولوجيا — وهى علم الحياة — الروح أصبحت هى نفسها علم حياة بلا حياة ، أى بيولوجيا ميتة على ما لاحظه برجسون الفيلسوف العظيم .

فالإنسان يرث الجسد من اجتماع جسدى أبويه ، وهذا الإرث يعلل تماماً أوجه الشبه العديدة التى كثيراً ما تتوافر إلى حد ملفت للنظر بين الإنسان وأحد أبويه أو أحد أجداده (عملا بقانون مندل للوراثة) . أما صفاته فهو يرثها من نفسه ، أو بالأدق من ماضيه العريق ، واختباراته التى لا تحصى خلال هذا الماضى العريق . ولذا كثيراً ما نجد أن المولود العبقرى ينحدر من صلب أب غبى ، والمولود الغبى من صلب أب عبقرى ، والمولود الصالح من صلب أب طالح وبالعكس .

ولما كان التكوين العضوى يمكن أن يحدث تأثيره فى التكوين الروحى لصاحبه وبالعكس ، لأن العقل والمادة يتفاعلان على الدوام ، فإنه من المتصور أن نجد بعض التوافق بين عقل الإنسان ومظهره ، لا كل التوافق . لأن قوانين الوراثة بوجه خاص ، والبيولوجيا بوجه عام ، تلعب دائماً دورها فى تحقيق هذا التوافق ولو إلى حد ما ، ولو على نحو ما ، وإلا إذا تداخلت عوامل جديدة يمكن أن تسند إلى قوانين روحية أخرى .

* * *

وكل هذه الحقائق الروحية تلقى أضواء لا غنى عنها فى تفسير بعض ظواهر الوراثة ، ويفتقدها التفسير لو أننا صممنا على القول بأن كل خصائص الإنسان كامنة

فى خلية الأب وبويضة الأم . . هذا القول الذى قد يعلل تكوين الرداء الخارجى ، لا الإنسان صاحب هذا الرداء ، والمندمج فيه اندماجاً تاماً أو شبه تام ولو إلى حين

ولعل هذا الانسماج ما كان ليحدث بدوره لولا وجود روابط عريقة وربما أعرق مما نتصور بين أفراد العصر الواحد ، والأسرة الواحدة ، والمجتمع الواحد ، والوطن الواحد، والقارة الواحدة ، بل والكوكب الواحد أيضاً . ولولا وجود أهداف خطيرة ، وأخطر بكثير مما نقدرّ ، كائنة وراء هذا التخطيط الذى جادت به قدرة جليلة من عند عزيز حكيم ، والتى تسمو على مستوى مداركنا بما يتجاوز كل قياس .

المبحث الثالث

الباراسيكولوجى يلقى أضواء كثيفة على هذه الألغاز

ربما يعترض أحد الأشخاص قائلا : لكن ما هو التعليل الذى تقدمه العلوم الطبيعية الحديثة للوراثة بوجه عام ، ولوراثة الفطرة الإنسانية بوجه خاص ؟ .

إن المقام لا يتسع الآن للإفاضة كثيراً فى هذا الموضوع الدقيق ، وإنما يكفى أن أقول إن ثمة اعتبارات متعددة جديدة ينبغى أن تدخل فى الحسبان الآن عند محاولة تعليل الوراثة ، ومنها : —

أولا : لزوم الاعتراف بعراقة الروح الإنسانية . وبعبارة أخرى بأن لها ماضٍ عريق ، بل موغل فى العراقة . وهذا الماضى ليس من اليسير استكشاف بعض مجاهله ، ولكن من اليسير القول بأنه حقيقة قد أثبتتها أبحاث الروح فى كل مكان ، ما دامت الروح لا تفنى بالموت .

ثانياً : لزوم القول بأن الروح تتردد دواماً بين مستوى غير منظور للوجود وآخر

منظور ، وأن هذا التردد للحياة — الذى يشبه حركة بندول الساعة — هو الذى يقدم أقرب التفسيرات المقبولة لتطور الروح .

ومع مراعاة أن تطور الروح فى حياتها فى العالم المنظور يجرى أسرع من تطورها فى العالم غير المنظور . وذلك لأن الآلام فى العالم المنظور هى أقسى وأفدح من المهد إلى اللحد . وبالألم وحده يتطور العقل وينمو ، وتنضج تدريجياً عن طريق الألم ملكات الإنسان ، وأهمها كلها ملكة الحاسة الخلقية لديه التى نعبر عنها فى لغتنا الدارجة بوصف الضمير الإنسانى .

ثالثاً : لزوم القول بأن ثمة قانوناً أزلياً يحكم الكون اسمه « قانون الانتماء الروحى » الذى يقابل على المستوى المادى « قانون الجاذبية » والذى يتحكم فى مسيرة الحياة كلها على مستوى المادة . كذلك « قانون الانتماء الروحى » فإنه يتحكم فى مسيرة الحياة كلها على المستوى الروحى أى اللامادى للحياة ، والذى يعبر عنه الباحثون بتعبير « العالم غير المنظور » .

ومقتضى « قانون الانتماء الروحى » هذا أن تكون الرابطة التى تجمع بين أفراد الأسرة الواحدة ، وأيضاً المجتمع الواحد ، بل الوطن الواحد ، رابطة عريقة بل موغلة فى العراقة والقدم .

فالإبن لم يرث خصائص الأب ولا الأم من مجرد الارتباط الجنسى . لأن هـذا الارتباط أورثه فحسب الجسد العضوى . أما السر فى وجود بعض أوجه للتوافق الروحى بين الإبن وأبيه وأجداده ، وأمه وأجداده لأمه مهما علوا ، فهو يكمن فى انتماء الجميع إلى مستويات متقاربة ومتداخلة من مستويات « الأثير الكونى » ، وهى متعددة تعدداً لا نهاية له .

وهذا الانتماء الروحى إلى مستويات متقاربة فى الأثير مقتضاه الحتمى وجود بعض أوجه التقارب فى الخصائص والملكات عند أولئك الذين ينتمون إلى نفس المستوى . وهذا المستوى الأثيرى يؤثر فى هذه الخصائص والملكات ، كما أنه فى نفس الوقت يتأثر بها .

وهذا ناموس له ما يقابله على المستوى العضوى المادى، وذلك عندما نقول إن الفرد يتأثر بالمجتمع كما أنه يؤثر فيه . وإن ثمة مسئولية أخلاقية تضامنية بين الفرد والمجتمع . وهذا ما يسلم به تماماً علماء الإجرام والاجتماع ، بقدر ما يسلم به علماء النفس والأخلاق والسياسة والاقتصاد أيضاً .

وهكذا ترى أن قوانين الوراثة كما عرفتها البيولوجيا التقليدية أصبحت الآن بالية مهلهلة ، وأنها يجب أن تخضع لمراجعة شاملة وجذرية فى ضوء أبحاث البارسيكولوجى . وهذا ما يجرى بالفعل الآن فى الدوائر المعنية بهذه الأبحاث ، خصوصاً ما يجرى منها تحت وصف علم « السيكوترونيا » .

المبحث الرابع

عن موقف علم النفس الحديث

من هذه الألغاز

موقف فرويد فى هذا الشأن

ما يسرى على قوانين البيولوجيا يسرى أيضاً وبنفس المقدار على قوانين الأنتروبولوجيا (علم الإنسان بمفهومه الواسع) بما فيها قوانين السيكولوجيا . هذا ومع مراعاة أنه لا يمكن أبداً الفصل بين دراسات البيولوجيا ودراسات السيكولوجيا فالإنسان كائن حى مثلما هو كائن واعٍ وشاعر .

وقد حدث فعلا تحول جذرى فى السيكولوجيا منذ عهد سيجموند فرويد (١٨٥٦ — ١٩٣٩) . فبعد أن كان فرويد مقتنعاً بفناء الحياة بالموت أصبح مقتنعاً بأن الموت مجرد عودة إلى الحالة اللاعضوية التى جاء منها الإنسان . وهذا ما يتفق تماماً مع مبدأ أزلية الروح وترددها بين مستوى غير منظور للوجود ومستوى آخر منظور .

ونتيجة لهذا التحول الجذرى أنجز فرويد فى سنة ١٩٢٠ تركيباً نظرياً جديداً بإدماج نظرته الجديدة المغايرة للماضى إلى خلود النفس فى نظرية جديدة بيو - نفسية قابلة للفهم عن الشخصية الإنسانية . ففى كتابه « ما يلى مبدأ اللذة »[١] نجده يدافع عن وجود نوعين من الغرائز : أولهما تلك الغرائز التى تخدم مبدأ الحفاظ على الحياة ، وثانيهما تلك الغرائز التى تناقضها وتميل لأن تعود بالإنسان إلى المكان الذى جاء منه ابتداء .

ويرى فرويد وجود صلة وثيقة بين هاتين الفئتين من الطاقات الغريزية وبين اتجاهين متعارضين للنشاط الفسيولوجي فى أعضاء الإنسان : وهما اتجاه الابتناء عن طريق تمثيل المواد الغذائية وتحويلها إلى أنسجة حيوانية أو نباتية Anabolism ويعارضه اتجاه الهدم فى الخلايا الحية Catabolism.

وقد صاغ فرويد نظريته النهائية بشأن دور غريزة الموت فى آخر إنتاج رئيسى له وهو « شرح التحليل النفسى[٢] » (١٩٣٨)، وفيه أصبح الصراع الأساسى يدور فى الإنسان بين طاقتين نقيضتين : وهما غريزة الحب Eros وغريزة الموت Thanatos . وأصبح هذا الصراع هو حجر الزاوية فى كيفية فهمه لنشاط العقل الإنسانى ، وهو المفهوم الذى ساد تفكيره فى سنى حياته الأخيرة .

موقف يونج

واتجه هذا الاتجاه — بل بصورة أقوى من فرويد وأوضح — عالم النفس السويسرى الذائع الصيت كارل جوستاف يونج Carl Gustave Jung (١٨٧٥–١٩٦١) . وذلك فى كل مؤلفاته التى جاوزت العشرين مؤلفاً، ومنها بوجه خاص كتابه « سيكولوجيا اللاشعور »[٣] .

---

(١) Beyond the Pleasure Principle.
(٢) An Outline of Psychoanalysis.
(٣) On the Psychology of the Unconscious.

وقد أقام يونج مدرسة حديثة هى مدرسة « علم النفس التحليلى »[١] بوصفها بديلة لمدرسة « علم التحليل النفسى »[٢] التى أقامها فرويد . ومن الأسس الأولى فى علم النفس التحليلى ألا نقول أن للإنسان نفساً أو روحاً Psyche بل أن نقول بالأكثر إن الإنسان بوصفه كائناً روحياً — فيزيقياً يعبِّر عن حقيقة روحية ، أو هو يمثل شطراً من حقيقة روحية .

وبذلك نجد يونج يغير النظرة المادية نحو الإنسان والكون إلى نظرة روحية ، ثم يقيم أسساً جديدة لتحديد علاقة الإنسان بالكون ، معتبراً أن الروح حقيقة وأمر واقع لأنها تعمل بنشاط جم . ولأنها بذاتها حقيقة طبيعية لها قوانينها ، وطاقاتها ، وأسبابها ، وأهدافها ، وتطورها ، ومسالكها الخاصة المتميزة عن سائر الحقائق الطبيعية الأخرى.

ونادى يونج مراراً وتكراراً بأنه عندما يتحدث عن أمر روحى فهو فى نفس الوقت يتحدث عن أمر حقيقى ، رفيع موجود من قبل ، أو بالأدق رفيع من قبل أن يوجد .

وخفف يونج من قوة ربط النفس بدوافعها الغريزية إلى حد كبير . وركز على حيوية الذات بمفهوم واسع . ومع الإشارة مراراً وتكراراً إلى أنها تعيش فى تسلسل حيوى ، وفى حركة ، وفى تطور ، وأن هذا يجرى لها دواماً بلا توقف ولا نهاية . ونتيجة لذلك فإن يونج ينبغى أن يعتبر من أنصار أزلية الحياة ، لأنه أيضاً يستبعد كل احتمال لأى خلق متجدد فى الإنسان[٣] .

ونكتفى الآن بهذا القدر عن دور التكوين الفطرى وما قد يثيره من قضايا ومن ألغاز عديدة ، وذلك لكى نقف وقفة قصيرة عند دور التكيف مع البيئة أو الوسط adaptation لوثيق صلته بالفطرة ، وبالتطور البيولوجى والروحى بوجه عام وهذا ما ينتقل بنا إلى الفصل الثالث من الباب الحالى .

---

(١) Analytical Psychology.

(٢) Psycho Analytic.

(٣) للمزيد فى هذا الشأن راجع : Carl G. Jung : (1) Reality of the Soul.

وهو مترجم عن الألمانية التى صدر بها كل إنتاج يونج .

(2) Problèmes de l'Ame Moderne.

وهو بدوره مترجم عن الألمانية بمعرفة إيف ليلاى Yves Le Lay باريس ١٩٦٠ .

الفصل الثالث

فى التكيف مع البيئة
وتفاعله مع الفطـرة

المبحث الأول

أثر الوسط فى السلوك

تعبير الوسط **milieu** أو البيئة واسع النطاق يشير إلى كل ما يحيط بالإنسان منذ تاريخ ولادته من ملابسات تلعب دورها فى إعداده للتكيف مع الحياة الاجتماعية أو لعدم التكيف معها بحسب الأحوال . وهذه الظروف يطلق عليها أحياناً وصف الوسط الذى لا خيار له فيه **milieu inéluctable** .

وفى هذا الشأن يلاحظ إيتين دى جريف **Etienne de Greeff** أستاذ العلوم الجنائية بجامعة لوفان **Louvain** أنه عندما يولد طفل فإن مكانه الطبيعى هو أسرته . وأسرته تكون بالنسبة له وسطاً لا خيار له فيه ، وعليه أن يتحمله بالتمام خلال السنوات الأولى من عمره ، كما عليه أن يتحمل المكان من العالم الذى هو مرتبط به ، ، ولحظة التاريخ التى يجىء فيها إلى هذا الوجود . فالأسرة تتضمن الوسط الجغرافى والتاريخى ، كما تتضمن الشارع الذى يقيم فيه والضيعة والمنزل .

وعندما يبلغ الطفل سن المدرسة تحدث اتصالاته الاجتماعية الأولى ، فيضاف إلى الوسط غير الاختيارى وسط آخر يصح أن يطلق عليه الوسط العارض ، **milieu occasionnel** وتسمح الحياة عندئذ للطفل الذى يملك موارد بالإفلات جزئياً من وسطه غير المختار . والدور الذى يلعبه الوسط دور ضخم جداً كما ثبت من التجربة ،

حتى بالنسبة للأطفال العاديين الذين يتدخل الوسط المؤسف أو التربية الرديئة فى تنمية ميولهم وتتبيتها فى صيغة عادات غير اجتماعية يخضع لها — أكثر من غيرهم — الأطفال غير المتزنين ، أو ذوى الملكات الضعيفة . (وبطبيعة الحال فان الأطفال العاديين أيسر تأثراً بالوسط الاجتماعى وتكيفاً به من الأطفال الشواذ أو غير المتزنين) .

كما يقول دى جريف إن واقعة الميلاد فى بلاد معينة تهيىء صاحبها لكى يتشرب بالتقاليد والعادات وأساليب الوجود لهذا الإقليم . ويبدو أن الاستعداد لا ينبع هنا من عامل جغرافى أو حتى من عامل سلالى **Racial** بمقدار ما ينبع من ظروف عامة للوجود وللثقافة . وهذا أمر يمكن أن يعنى علم الاجتماع الجنائى أكثر مما يعنى دراسة الحالات الفردية على حدة .

والوسط المسمى بالوسط الجغرافى يمثل الوسط الأدنى المحيط بالشخص . فمثلا يشتهر إقليم معين بطعنات السكاكين ، وآخر ببلاغاته المجهولة ، وآخر بدعاواه الكيدية ، وآخر بضغائنه العائلية وأحقاده . وكل هذه الاتجاهات من المفهوم أن يتأثر بها الطفل المولود فى هذا الإقليم أو فى ذاك . . . والوسط الاجتماعى هو ذاك الذى ينبغى أن يحسب حسابه لا الوسط الجغرافى (بمعنى أن الوسط الاجتماعى أوضح أثراً فى تقديره من الوسط الجغرافى) . وعند إجراء فحص فردى يهم دائماً أن نعرف العادات والتقاليد ، ومستوى الثقافة للوسط الاجتماعى الذى تخرج منه الشخص الخاضع للفحص[١] .

* * *

وفى هـذا الشأن يلاحظ الأستاذان لينيل لافاستين **Laignel Lavastine** وف . ستانسيو **V. V. Stanciu** أنه ينبغى أن نميز لدى كل فرد بين النواة البيولوجية وبين الجو الاجتماعى المحيط به ، وأن غريزة الاندماج فى هذا الجو تكون

---

(١) Etienne de Greeff : Introduction a La Criminologie. Paris 1948 Volumei P. 83-85.

إيجابية عندما تبلغ الحاجة إلى الاجتماع بالآخرين مستوى الضيق من العزلة . ويمكن للشخص ذى المرونة العادية أن يتكيف مع جميع الظروف ، ولذا قال سبنسر **Spencer** إن الحياة عبارة عن « تكيف » **Adaptation** .

ومن المظاهر الأخرى لغريزة الاندماج الميل إلى التقليد ، والقابلية للإيحاء (فإن دور هذه القابلية عظيم فى الجرائم خصوصاً فى الجرائم الجماعية) . وهناك أيضاً الحاجة إلى الخضوع أو إلى السيطرة التى تلعب دوراً هاماً فى سلوك الأفراد الذين يحتاجون إلى راعٍ يرعى ضمائرهم أو إلى طبيب دائم ، وعن طريق هذه الحاجة تنبع الحاجة إلى الحماية التى كثيراً ما تجر إلى المركبات النفسية (أى العقد) .

كما يلاحظ نفس هذين العالمين أن الوسط العائلى هو الوسط الذى قام على أكتاف الوالدين . ويتعين ابتداء لمعرفة سلوك الإنسان أن نتبين ما إذا كان ابناً شرعياً لوالديه أم لا ، بالإضافة إلى سنه وجنسيته ومهنته و « أخلاقيات » الوالدين . ويعتقد فى شأن الصلة بين الأم وابنها أن للرضاعة الطبيعية تأثيراً نفسانياً إلى جانب التأثير المتصل بوظائف الأعضاء (الفسيولوجى). كما تنبغى معرفة نوع الصلة العاطفية بين الإبن ووالديه ، وكل هذا له قيمته ، لأن التربية تبدأ منذ الساعة الأولى للولادة .

كما ينبغى التعرف على طبيعة مسكن الوالدين ، وظروفهما الصحية والخلقية والاقتصادية ، وملكات الإنسان ، وردود الفعل العاطفية مع رفقاء المدرسة ، والثكنة والمصنع ، أو المكتب ، والصلات مع الرؤساء . . كل هذه عناصر ينبغى الرجوع إليها لتفسير سلوك الفرد . وبعد الوسط المهنى ينبغى النظر إلى الوسط الاجتماعى والسياسى .

فالعلاقات المميزة لكل هذه الزوايا من شخصية الفرد سواء أكانت تنتمى إلى علم دراسة الأشكال الخارجية للكائنات الحية (المورفولوجيا **morphologie**) ، أم إلى علم وظائف الأعضاء ، أم إلى علم النفس ، أم إلى علم الاجتماع ، تكون — عن طريق تركيب عام — الإنسان بكامله .

وهذا التركيب العام للشخصية الإنسانية هو ذلك الذى يسمح بالتمييز فى تصرفاته بين ما ينتمى إلى الدافع البيولوجى الصرف وبين الدافع الناجم عن تأثير الوسط الخارجى للأعضاء **mésologique** فى سلوك هذا الإنسان ، لأنه كما توجد تأثيرات وراثية توجد أيضاً تأثيرات ميزولوجية . فلا ينبغى أن يفوتنا صحة ما كان ينادى به أوجست كونت Auguste Comte من أنه لا ينبغى أبداً فى الدراسات الوضعية الفصل بين الأعضاء وبين الوسط الذى تنمو فيه وتعمل به .

والتركيب العام للفرد **biogramme** هو ذلك الذى يربط بين العوامل البيولوجية الفطرية والعوامل المستمدة من تأثير الوسط فى نشاط الأعضاء (الميزولوجية) . وهذا يتضمن معنى التسليم بدور هذه الأعضاء مضافاً إلى دور الوسط الاجتماعى ، ودور التعليم أو التربية سواء أكانت التربية اجتماعية أم تلقائية **Auto-education** . وبالتعرف على هذه العوامل كلها يمكن الوصول إلى التعرف على دوافع السلوك الفردى ، ونشاطه الاجتماعى وردود فعله المضادة للمجتمع . وتقدم العلوم يسمح الآن بمعرفة عن الإنسان أكثر موضوعية ودقة من ذى قبل[١] .

المبحث الثانى

فى أهمية التكيف

قضية التكيف مع البيئة هى فى نفس الوقت قضية تكيف مع العصر ، ومع المعرفة الصحيحة ، وما تكشّف عنه نضال عشرات القرون من حقائق لا تحصى ، وكلها جديدة على الفكر الإنسانى ، ولازمة لتنظيم الروابط الاجتماعية فى صورة قوانين ناجحة . بل إنها أيضاً قضية اتساع فى الأفق يلزم تحقيقه ، ونظرة إنسانية شاملة يلزم

---

(١) راجع :

Laignel Lavastine et V. V. Stanciu : Précis de Criminologie. Paris, 1930 pp, 44-46.

القيام بها لتذليل صعوباتنا ومشاكلنا التى لا تنتهى ، والتى لا يمكن أن تواجه إلا بالتكيف مع أسلوب العصر ، ومنطقه وإنجازاته .

وهذه النظرة تصدق على شرقنا الأدنى ، كما قد تصدق على نحو أو آخر على غيرنا أيضاً . وقال فيها بحق الفيلسوف الرياضى برتراند راسل « لقد عاش الإنسان بحسب الأزمنة الجيولوجية فترة قصيرة جداً : مليون سنة على أكثر تقدير ! ! وكان ما حققه خصوصاً فى الآلاف الستة الأخيرة منها شيئاً جديداً كل الجدة فى تاريخ الكون ، على الأقل فيما نعلم ، فقد عبرت أجيال لا عداد لها ، والشمس تشرق وتغرب ، والقمر يكتمل ويختفى ، والنجوم تسطع فى الظلام ، ولكن قدوم الإنسان وحده هو الذى يسر لهذه الأشياء أن تُفهم .

ففى عالم الفلك الكبير ، وفى عالم الذرّة الصغير كشف الإنسان عن أسرار كان المظنون أنها لا قبل له باكتشافها . وفى الفن وفى الأدب والعقيدة ارتفع بعض البشر بمشاعرهم ارتفاعاً جليلا يجعل الجنس البشرى خليقاً بالبقاء . أينتهى كل هذا إلى الفزع التافه لأن أولئك الذين يستطيعون أن يفكروا فى الإنسان بدلا من التفكير فى هذه الجماعة من الناس أو تلك قليلون ؟ .

هل أصبح جنسنا مطموس البصيرة عاجزاً عن الحب الخالص الذى لا تعصب فيه . . ولقد يسرنى أن ينسى الناس مشاحناتهم ليتفكروا فى أنهم لو سمحوا لأنفسهم بالبقاء فإن باب الأمل مفتوح على مصراعيه على مستقبل من الانتصارات يفوق كل ما سجله الماضى من انتصارات إلى مدى لا يقاس . ولو شئنا فالطريق أمامنا ممهد للتقدم المضطرد فى السعادة والمعرفة والحكمة . .

إنى — وأنا إنسان — لأهيب بالناس : أن تذكّروا إنسانيتكم وانسوا ما عداها ؛ فإن تأتى لكم ذلك فالطريق أمامكم مفتـــوح إلى فردوس النعيم ، وإذا لم تستطيعوا فلا شىء أمامكم إلا الفناء الشامل المحيق »[1] .

* * *

(١) عن برتراند راسل « العقل والمادة » ترجمة أحمد إبراهيم الشريف ١٩٧٥ ص ٣١٢ ، ٣١٣

نعم فلنذكر إنسانيتنا ولننسَ ما عداها فإن تأتى لنا ذلك فإن باب التطور والارتقاء ، والتكيف مع نواميس الطبيعة وأهدافها السامية ، سيكون مفتوحاً على مصراعيه أمام الجميع . ومعه أيضاً باب الحب والتضامن مع البشرية جمعاء فى سيرها المضطرد إلى الأمام لا إلى الوراء .

ومن يدرى فلعل التطور فى الطريق الصحيح ينتهى بالبشرية جمعاء إلى أن يكون الحب المتبادل فيما بين شعوبها وأفرادها عنصراً أصيلا لا دخيلا فى الطبع الفطرى للإنسان . وعندئذ لا تضيع الحقائق كثيراً بين جانٍ ومجنى عليه ، ويضيع جهد العلماء والمفكرين عبثاً فى دراسة دوافع السلوك البشرى عند الأشرار ، بل عند الشعوب والحكومات بنفس المقدار :

عن التفاعل بين الفطرة والتكيف

هذا عن الطبع الفطرى للإنسان ، أما عن العناصر البيولوجية المرتبطة به فهى تشير إلى معنى نسبى يتحدد وفقاً للظاهرة المطلوب إخضاعها للدراسة ، لأنها عبارة عن علاقة بين الذات وبين عدة عوامل حيوية ليست غريبة عنها بل هى مرتبطة بها من كل جانب . وتتوقف هذه العلاقة على طبيعة هذه العوامل وما يتولد عن تفاعل هذه وتلك من ظواهر شتى . وقد تشعبت الآراء فى شأن تحديد هذه العلاقة ، فمثلا يعطى بعض الباحثين قيمة خاصة لهذه العوامل البيولوجية — خصوصاً النمو الطبيعى أو الشاذ ، ويدخل فيها بهذا المفهوم العوامل المتصلة بوظائف الأعضاء — فى تفسير الظاهرة السلوكية ، حين يعتبرها البعض الآخر مجرد وسيلة لإبراز الصفات الفطرية التى تلقاها الفرد عن طريق الوراثة .

وقد أدى النقاش الطويل فى هذا الصدد إلى ظهور « علم البيولوجيا الجنـــائية » Biologie Criminelle بعد « علم النماذج الحيوية » Biotypologie ، هذه البيولوجيا التى تعنى بها « مدرسة البيولوجيا التكوينية » Bio-Constitutionnelle التى ارتبطت بالعديد من الأبحاث المعاصرة فى السلوك الإنسانى :

وعن طريق تقدم هذه البيولوجيا التكوينية ابتدأ تفسير السلوك يأخذ طابعاً موضوعياً مؤسساً على التفاعل النفسى — الفسيولوجى ، مما أدى إلى رفض كل تفسير محض شخصى للسلوك ، قائم على المواقف النفسية الصرف ، لأن هذا التفسير البيولوجى الحديث يكاد يحصر انتباهه فى تسلسل الأحداث من النواحى الفيزيقية — الكيميائية بمقدار ارتباطها بالمخ . وبالتالى يكاد ينفى كل سيطرة للإنسان على تصرفاته ، لأنه تفسير يبرز فيه كل حدث بوصفه حلقة فى سلسلة مترابطة من العمليات البيولوجية الآلية الصادرة عن المخ بوصفه صاحب الهيمنة وحده على الجهاز العصبى ووظائف الأعضاء .

وهذا التفاعل النفسى — الفسيولوجى جاء ليعارضه فيما بعد التفسير البيولوجى الصرف للوعى ، حيث يظهر فيه هذا الأخير معبراً عن تتابع أو عن تسلسل عصبى بمقدوره أن يحقق للإنسان إمكان السيطرة على تصرفاته ، وبالتالى إمكان توافر إرادة محدودة فى نطاق صلاته بما يحيط به من ظواهر الحياة .

المبحث الثالث

عن موقف « المدرسة الطبيعية الحديثة »

من الفطرة والتكيف

فى الواقع إن تفسير السلوك الإنسانى لا يزال يمثل العمود الفقرى فى دراسات علم الإنسان . ولقد حاول عدد من الرواد الأوائل لهذا العلم المتسع إعطاء تفسيرات متعددة فى إسناد الظاهرة السلوكية إلى أصولها الاجتماعية والطبيعية والشخصية. وحاول عدد آخر إعطاء تفسير فلسفى واحد ، أو تغليب تفسير معين على ما عداه .

وقد لوحظ فى هذا الشأن أن علماء الاجتماع أميل إلى تغليب العوامل الاجتماعية . أما علماء التشريح ، والعلماء الطبيعيون بوجه عام ، فقد مالوا إلى تغليب العوامل البيولوجية أو الأنتروبولوجية التى تعتبر وثيقة صلة بعلم الإنسان منظوراً إليه

من زاوية السلوك الإنسانى . ذلك حين لوحظ أن عدداً من علماء النفس اتجه إلى تغليب العوامل النفسية المتصلة بنوع شخصية الجانى ، وهل هى انبساطية أم انطوائية ، ونوع العقد أو المركبات النفسية التى تنطوى عليها هذه الشخصية ، والتى يكشف عنها « علم الأمراض النفسية والعصبية » .

ولذا تعددت النظريات فى تفسير ظاهرة الجريمة وتشعبت إلى مسالك متنوعة . ولكن من الجائز القول ابتداء بأن الجريمة ظاهرة مركبة شديدة التعقيد ينبغى أن ترجع إلى عوامل كثيرة فطرية ومكتسبة تتفاعل معاً . فهى لا تقبل بطبيعتها تفسيراً واحداً يوصفه يمثل حقيقة مطلقة كفيلة بأن تستبعد ما عداها ، شأنها فى ذلك شأن جميع ظواهر السلوك الإنسانى حتى تلك التى لا تتعارض مع أحكام التشريع العقابى ، أو مع كافة القيم الاجتماعية أو الخلقية السائدة، فيطلق عليها وصف ظواهر اجتماعية أو متوافقة مع متطلبات الحياة الاجتماعية .

وإنما على الاقتناع برجحان دور بعض هذه العوامل على بعضها الآخر نشأت المدارس الحديثة فى علم الإجرام كلها ، بغير أن تحاول أية واحدة منها استبعاد دور باقيها تماماً ، بل تحاول التوفيق بينها والوصول إلى حل أقرب من غيره إلى الصواب عن كيفية تفاعل بعض هذه العوامل مع بعضها الآخر فى إنتاج ظاهرة المجرم الحقيقى ، قبل ظاهرة الجريمة بوصفها مخالفة شكلية لأحكام قانون العقوبات .

وهذا التكييف للتفاعل بين جميع العوامل المنتجة للمجرم ، وسلوكه المضاد للمجتمع ، هو مشكلة المشكلات فى بحوث علم الإجرام الحديث ، ولا غرابة فى ذلك لأن معلومات الإنسان عن نفسه لا تزال ساذجة بدائية ، إلى حد أنها حتى الآن تقف موقف الحيرة والتردد حتى فيما ينبغى أن ينسب من هذه العوامل إلى الفطرة وما ينبغى أن ينسب إلى الاكتساب أو غيرهما ، وبالتالى فى تعريف ما هى الفطرة وما هو الاكتساب ، وذلك لعدم وجود حدود فاصلة بينهما :

ففطرة الإنسان هى التى توجه صلاته بما يحيط به من ظواهر الوجود المادى ، كما أن ما قد يكتسبه بنفسه عن طريق هذه الصلات نفسها من مزايا أو من عيوب

خلقية أو روحية قد يلعب فى تشكيل هذه الفطرة دوراً ما ، بشرط أن تفهم الفطرة على أنها مرنة قابلة للتكيف ، وعلى أنها لا تنفى دور الإرادة الإنسانية بوصفها ناموساً روحياً طبيعياً ، ودور العقل الذى يتفاعل معها وينفعل بها وعن طريقها .

ومع مراعاة أن العقل هو المهيمن فى نهاية المطاف على المخ بوصفه ليس أكثر ولا أقل من جهاز عضوى يستخدمه العقل أو ان شئت الروح ، هذه الشعلة المقدسة التى تهب الحياة لكل كائن حى ، والتى لا انفصال بينها وبين العقل ولو فى أدنى صوره ، وهو العقل الغريزى الذى يتمثل فى إلهامات النملة والنحلة .

وكل ذلك من شأنه أن يدفع العلماء إلى مضاعفة جهودهم على رجاء تحقيق هـذا الأمل الضخم الذى ينشده « علم الإنسان » من قديم ، وهو محاولة تحديد الدور الحقيقى للسلوك الإنسانى بين عناصر الفطرة وعناصر الاكتساب ، تحديداً يطابق الصواب أو يقترب منه تدريجياً ولو إلى حد ما ، لكن بطريقة يقينية يرتاح إليها أسلوب العلم الوضعى .

ولا يتأتى ذلك فى تقدير علماء « المدرسة الطبيعية الحديثة » لعلم الإجرام ، وهى أبرز المدارس المعاصرة ، إلا عن طريق دراسة الفرد بقصد الوصول إلى تفسير سببى للجريمة بوصفها رد فعل شخصى بيولوجى إزاء موقف اجتماعى معين ، وذلك بعـد الإفراط فى الماضى بالعناية بدراسة البيئة والظروف الاجتماعية المحيطة بالجانى . وإلا بالعناية بالجانب الاكلينيكى ، أى إخضاع شخص الجانى لجميع صور الفحوص المعملية ، كما لو كان فى عيادة طبيب مدقق يستعين قبل تشخيص الداء ووصف الدواء بكل سبل التحرى والتحاليل والصور ، ودراسة تاريخ المرض منذ ظهور أعراضه .

ولذا فإن من مميزات هذه الدراسة أنها تقف فى موقف وسط بين جميع المدارس السابقة عليها ، فلا تنحاز لأية واحدة منها . فهى تعطى للجريمة تفسيراً مركباً طبيعياً ، حتى وإن تغلبت — عند هذا العالم أو ذاك — رغبة تغليب عامل معين على آخر ولو إلى حد ما ، لكن مع عدم إنكار دور العوامل الأخرى . ومع محاولة تجنب وضع قواعد عامة مطلقة بالنسبة لحالات متفاوتة تفاوتاً كبيراً ، خصوصاً بحسب هذه النظرة الطبيعية

إلى الجريمة بوصفها ظاهرة فطرية مرتبطة بكل ما يتفاعل معها من عوامل بيولوجية وفسيولوجية ونفسية تتفاوت — إلى أبعد مدى — من إنسان إلى آخر .

وهذه « المدرسة الطبيعية الحديثة » أصبح يتعين عليها الآن أن تراجع العديد من نظرياتها فى السلوك الإجرامى ، خصوصاً بعد ظهور نتائج أبحاث الباراسيكولوجى الحديثة أو أبحاث علم الروح بوجه عام . وهو يعتبر محض امتداد وتوسيع لآفاق علم النفس القديم الذى ارتبط أكثر مما ينبغى — على يد سيجموند فرويد — بافتراضات أصبحت الآن مرفوضة علمياً عن مادية الحياة والوجود .

وهى افتراضات طالما جنت على تطور علم النفس التقليدى إلى أن تخلص منها تدريجياً على أيدى علماء نفس كبار لا حقين لفرويد ، خصوصاً منهم أولئك الذين اتصلوا بالتحقيقات الحديثة فى الظواهر غير المألوفة فسبروا بعض أغوارها ، وبعض صلاتها المحتومة بالتكوين الروحى للكائن الإنسانى .

• • •

ولكن لا ريب فى أن المدرسة النفسية لعبت — ولا تزال تلعب حتى فى إطارها التقليدى — دوراً أساسياً فى تفسير السلوك الإجرامى وتخطت — ولا تزال تتخطى — غالبية أوجه النقد التى وجهت إليها من أنصار المدرسة الاجتماعية الخالصة ، أو الطبيعية الخالصة ، سواء بحق أم بغير حق .

ومن ذلك النقد الذى مقتضاه أنها لم تفلح فى وضع نظرية عامة للإجرام ، لأنه كثيراً ما يعانى بعض أشخاص من صراع نفسى بين مكونات الشخصية ، ولا يلجأون إلى سلوك السبيل الإجرامى .

ذلك لأن تعليل بعض أنواع السلوك الإجرامى بوجود صراع نفسى دفين بين مكونات شخصيات جانب ضخم من الأفراد ليس مؤداه أبداً أن كل صراع نفسى يجب أن ينتهى بالضرورة إلى سلوك إجرامى ، ولا أن كل سلوك إجرامى يجب أن يبدأ باندلاع صراع نفسى بين مكونات الشخصية عند الجانى .

بل يكفى التسليم بأن للصراع النفسى — سواء كان ظاهراً أم خفياً ، وسواء أكان صعيفاً أم قوياً — دوره المحفق أو المحتمل فى توجيه سلوك الإنسان إلى الجريمة فى حالات عديدة ، لكى يظهر فضل هذه المدرسة فى تفسير هذا السلوك — ومواجهته أيضاً — حتى ولو توافرت إلى جانب الصراع النفسى عدة عوامل أخرى سواء أكانت داخلية مثل الدوافع العادية غير المرضية ، أم خارجية من نوع تلك الدوافع التى تعطيها المدارس الأخرى قيمة خاصة فى تفسير هذا السلوك ، وبوجه خاص المدرستان الاجتماعية والطبيعية .

* * *

وكل هذه المدارس التى تحاول تفسير السلوك الإنسانى متداخلة فيما بينها ، بمقدار تداخلها مع مدارس الباراسيكولوجى . وكلها آخذة فى التحرر التدريجى من دعوى مادية الحياة والوجود . وهذا التحرر صبغ منذ صـــدر القرن الحالى تطور العلوم الإنسانية بمقدار ما صبغ تطور العلوم الطبيعية أيضاً .

وذلك لأنه لا توجد حواجز فاصلة بين هذه العلوم وتلك ، بل إنها كلها متداخلة بدورها فيما بينها . وهذا التداخل هو الذى أدى إلى ظهور منهج السيكوترونات منذ منتصف هذا القرن ، لكى يعمل جنباً إلى جنب مع منهج الباراسيكولوجى فى الكشف عن العديد من مساتير الطبيعة وألغازها التى لا تنتهى أبداً[1] .

وهذا الموقف الجديد يقتضى منا وقفة عابرة عند بعض الرواد الذين تنبهوا إلى ضرورة تحرر العلوم الإنسانية من دعوى مادية الحياة والوجود ، وهذا هو موضوع الفصل الرابع .

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٣٤ - ٤٤ .

الفصل الرابع

العلوم الإنسانية تتحرر
من دعوى مادية الحياة والوجود

من أقوال ألكسيس كاريل

إذا كان الارتباط مقدماً بافتراضات معينة من شأنه أن يعوق تقدم العلم والفلسفة – بل اللاهوت أيضاً – فإن ارتباط العلوم الإنسانية بافتراضات ثبت خطؤها بالفعل عن مادية الحياة والوجود قد عاق تقدم هذه العلوم ، ولا يزال يعوقها لغاية الآن إلى المدى الذى وصفه ألكسيس كاريل **Alexis Carrell** الطبيب والفسيولوجى المعروف وصف صدق عندما قال « إن بانولوجية العقل (علم الأمراض وطبائعها وأعراضها) تعتمد على السيكولوجيا (علم النفس) مثلما تعتمد باثولوجية الأعضاء على الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) . . ولكن الفسيولوجيا علم فى حين أن السيكولوجيا ليست علماً . . إذ ما زالت السيكولوجيا تنتظر كلود برنارد **Claude Bernard** أو باستير **Pasteur** آخر . . .

لقد كانت السيكولوجيا موجودة فى حالات الجراحة حينما كان الجراحون حلاقين ، وفى الكيمياء قبل لافوازييه **Lavoisier** ، ومع ذلك فقد يكون من الظلم أن نتهم النفسيين العصريين ووسائلهم بالنظر إلى الحالة البدائية الحاضرة لعلم النفس ، إذ أن شدة تعقيد هذه المادة هى السبب الرئيسى فى جهلهم » . . .

ثم يستطرد كاريل قائلا « وقد أحدث فرويد أضراراً أكثر من تلك التى أحدثها أكثر علماء الميكانيكا تطرفاً ، فإن من الكوارث أن نختزل الإنسان فى جانبه العقلى مثل اختزاله إلى آلياته الكيميائية . . ومع ذلك فإن استبدال الروحى بالمادى لن يصحح الخطأ الذى ارتكبه عصر النهضة . فاستبعاد المادة سوف يكون أكثر إضراراً بالإنسان

من استبعاد العقل . وانما سيوجد الخلاص فقط فى التنحى عن جميع المذاهب ، وفى القبول التام لمعلومات الملاحظة ، وإدراك الحقيقة بأن الإنسان لا يقل ولا يزيد عن هذه المعلومات . . »[١] .

من أقوال كارل ياسبرز

وفى نفس الاتجاه يقرر كارل ياسبرز **Karl Jaspers** الفيلسوف وعالم النفس المعروف « كان طبيعياً أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدرسته فى مجتمع مهزوز مكدود ، ومن الممكن أن نلاحظ أن الناس فى عالمنا المقلوب هذا قد أحسوا حاجة شديدة إلى التحرر ، وجاء التحليل النفسى فزودهم بذلك الوهم ، وكان مخادعاً خداع ذلك العالم ذاته . . إننا هنا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتى الذى هو نتاج صادق لهذا العصر . . »[٢] . ولنا عودة فى موضع لاحق لبيان حقيقة موقف فرويد من الفلسفة المادية أو الروحية للوجود .

وما يصدق فى هذا الشأن على علم النفس يصدق بنفس المقدار على علم الإجرام الذى يعتمد فى جانب كبير منه على بحوث علم النفس ، كما يعتمد فى جانب آخر على بحوث علم الإنسان . ولذا يطلق عليه وصف « علم الإنسان الجنائى » أو « الأنتربولوجيا الجنائية » ، وذلك بالإضافة إلى بحوث علم الحياة « البيولوجيا » وعلم وظائف الأعضاء « الفسيولوجيا » . ويبدو أنها لا تزال كلها علوم تتعثر بافتراضات كثيرة عن مادية الكون والوجود ، بالأقل فى بعض جوانب هامة منها .

من أقوال ألفريد آدلر

ولحسن الحظ يبدو أن قد قدِّر للإنسان أن يفيق من غفلته أخيراً بعد طول مكابرة ، فقادته نفس أساليب البحث الوضعى إلى اتجاهات أخرى جديدة كان يبدو فيما مضى أن هذه الأساليب لا يمكن أن تقود إليها . وتبدو إرهاصات هذه الاتجاهات الجديدة

---

(١) « عن الإنسان ذلك المجهول » **L'homme Cet Inconnu** ترجمة عادل شفيق ص ٢١٥ — ٢١٦ .

(٢) عن « مستقبل الإنسانية » ترجمة عثمان أمين ص ١٠ .

الجديدة فى كتابات عدد وفير من علماء النفس منهم أبرز ثلاثة خلفاء لفرويد وهم : ألفريد آدلر Alfred Adler (١٨٧٠–١٩٣٧) ووليام مكدوجال W. Macdougall (١٨٧١ – ١٩٣٨) ، وكارل جوستاف يونج C. G. Jung (١٨٧٥ – ١٩٦١) .

فبعد أن حاول فرويد أن يؤسس دعائم علم النفس على أساس من النظر إلى الإنسان بوصفه آلة محكومة بقوة الغرائز والملكات الفطرية ، وبخاصة بقوة الغريزة الجنسية والإحساس بالعظمة ، وغيرهما من الغرائز ، إذ بنا نجد آدلر – بعد انضمامه إلى نظريات فرويد – يعلن كفره الصريح بها ، وينادى بأنه « لو كانت الغرائز والملكات الفطرية هى التى تتحكم من كل جانب فى سلوك الإنسان لما كان فى مقدوره أن يدخل أى تعديل على شخصيته إلا إلى حد محدود ، وذلك لكى تستجيب إلى ما تتطلبه البيئة التى يحيا فيها » .

ومن المحال أن تتكون الشخصية وتنمو إلا إذا كانت الذات الإنسانية تتجه فى نشاطها اتجاهاً غائياً ، لأن الغاية التى تسعى إليها الذات ، وتنشط للوصول إليها ، هى العامل الحاسم فى توجيهها ، وقد يبلغ ذلك حداً من الوضوح والجلاء دفع الفلاسفة وعلماء النفس فى كل العصور إلى التسليم بتداخل مبدأ الغائية ، حتى فى تلك المسائل التى لا تحتاج إلا إلى محاولة بسيطة للتوجيه الإرادى المحدد نحو نقطة يعتبرها الإنسان ثابتة لا تتزعزع » .

ويقول آدلر فى هذا الشأن إن علم النفس الفردى يختلف فى ذلك عن المدارس الأخرى التى تميل غالباً نحو التفسير الآلى للنشاط الإنسانى فى أنه يرتبط بمبدأ الكلية ، أى أنه ينظر إلى الكائن فى مجموعه ، ويتبع هذا المبدأ حتى آخر نتائجه ، مؤمناً أن الغاية تسيطر على الذات البشرية ، فلم يعد يعنى خلال البحث فى تسلسل العمليات الذهنية بالبحث عن مصدرها ، بل عن أهدافها .

والحياة الروحية للإنسان تتحدد بحسب رأيه تبعاً للغاية التى يستهدف الفرد تحقيقها ، والمرتبطة بحاجته للتوافق مع البيئة التى تحيط به ، ولذا فهو لا يمكن أن يتصور

العقل البشرى بمثابة أنواع من المجموعات الكهربية ، بل فحسب بمثابة مجموعات معقدة من الطاقات المتحركة التى تصدر رغم تعددها عن علة واحدة ، وتسعى إلى تحقيق هدف مشترك . وبالتالى لا يمكن أن نتصور وجود هدف للحياة الروحية يتجه نحوه كل صنوف النشاط التى تمارسها هذه الحياة[١] .

ومن ثم فإن علم النفس الفردى لا ينبغى أن يبحث فى عناصر العقل أو النفس ، بل فى العقل برمته ، وينبغى أن يهتم دائماً بالهدف أو الغاية من كل إحساس أو انفعال .

وهو يرى أيضاً أن المثل الأعلى للشخصية الذى يتخذه أى إنسان يبقى عاملا فعالا على وجه الاستمرار ، ويلزمه التصويب على وجه الاستمرار نحو أهداف عينت من قبل ، لأن الغائية التى تميز سلوك الفرد تحدد سبلا معينة لجميع ضروب النشاط الشعورى واللاشعورى ، لكى تسير فيها حتى تحقق الهدف الذى تعيش لها « وقد بلغت هذه الظواهر من الوضوح والجلاء حداً دفع الفلسفة وعلم النفس فى كل عصر إلى التسليم بتدخل مبدأ الغائية فى جميع الأمور ، حتى فى تلك الأمور التى قد لا تحتاج إلا إلى محاولة بسيطة للتوجه الشعورى المحدد نحو نقطة يعتبرها صاحبها ثابتة وراسخة »[٢] .

كما نجد آدلر ينكر أن يكون الشعور الجنسى هو المحرك الخفى الذى يوجه جل نوازع النفس الإنسانية ، وأهم ميولها ومخاوفها . بل يذهب إلى أن حب الحركة لتحقيق الذات هو هذا المحرك الخفى الأصيل فى كل إنسان ، لأن الذات أوثق صلة به من جنسه ، ولأن « الأنا » فيه أسبق وأعرق من الذكورة والأنوثة معاً . وهكذا ابتعد آدلر عن أستاذه فرويد واقترب بعض اقتراب من المصدر الخفى للنوازع الإنسانية .

من أقوال يونج وبعض أعلام النفسيين

ومثل هذه الآراء نجدها عند مكدوجال ، كما نجدها بوفرة شديدة وبصورة

---

(١) Adler : Understanding Human Nature. London 1930 p. 19.

(٢) Adler : Le Témperament Nerveux. Paris 1926 p. 76.

• للمزيد راجع رمزى اسحق « علم النفس الفردى » ١٩٦١ . ص ٨٤ — ٨٩ .

أشد وضوحاً ورسوخاً منه ، عند يونج الذى نقد نظريات فرويد وآدلر ،عاً مقررا « أن المأخذ الذى يمكن أن يوجه إلى نظريات فرويد وآدلر ليس هو أن هذه النظريات مؤسسة على الغرائز ، بل أنها تنظر إلى الأمور من جانب واحد ، وهو جانب علم النفس بدون الروح ، هذا الجانب الذى يناسب الأشخاص الذين يظنون أنه ليس لديهم احتياجات أو تطلعات روحية ، ولكن هنا يخدع الطبيب والمريض كلاهما نفسيهما .

وحتى إن كانت نظريات فرويد وآدلر تقترب إلى قلب الاضطرابات العصبية أكثر من اقتراب الجانب الطبى منها ، فإن اهتمامها بالغرائز وحدها يقصر عن أن يرضى الاحتياجات الروحية الأعمق من ذلك للمريض . فهى مرتبطة أكثر مما ينبغى بافتراضات علوم القرن التاسع عشر ، وهى مادية أكثر مما ينبغى ، وتعطى قيمة أقل مما ينبغى لقوة التصور والتخيل ، وفى كلمة لا تعطى مغزى كافياً للحياة »[1] .

ومثل هذه الآراء نجدها بنفس القوة والوضوح عند عدد من أكبر علماء وفلاسفة العقل والنفس المعروفين فى القرن الحالى من أمثال وليام جيمس W. James ، وهنرى برجسون H. Bergson ، وغيرهما ، بالإضافة إلى عدد من أبرز علماء البيولوجيا ، والفيزياء ، والرياضة الذين أخذوا يعنون منذ أوائل القرن الحالى بتأكيد أن العلوم المادية لا تفسر شيئاً على الإطلاق من ظواهر الوجود ، حتى ذلك الوجود المادى بحسب مظهره والخاضع للحس وللإدراك ، الذى يبلغ ذروته فى الإنسان ، وفيما يتصل به من شتى ظواهر السلوك التى تعنى بها العلوم الإنسانية وفى مقدمتها علما النفس والإجرام ، بالإضافة إلى علوم الحياة وفى مقدمتها البيولوجيا والفسيولوجيا .

---

(١) عن كتاب « علم النفس والدين فى الغرب والشرق » .
Psychology and Religion. West and East. 1958.

ترجمة انجليزية بمعرفة ر.ف هال Hull مجلد ١١ ص ٣٢٩ — ٣٣١ .

الفصل الخامس

الباراسيكولوجى يلقى أضواءه على الفطرة والتكيف

تمهيد وتبويب

لى وقفة لاحقة عند مشكلة « الوجود السبقى » وصلتها العميقة بالتنقيب فى بعض أغوار الفطرة الإنسانية وما يرتبط بها حتماً من ضرورة تعقب ناموس التكيف مع البيئة ، وهو ذلك الناموس الطبيعى الذى يلعب الدور الأكبر فى تطور جميع الكائنات الحية ، وأولها الكائن الإنسانى نفسه[1] .

وليست مشكلة « الوجود السبقى » — بكل ما يرتبط بها من قضايا التمييز بين الشعور واللاشعور — هى التى يمكن وحدها أن تسهم بنصيب ما فى إنارة طريق البحث فى التكوين الفطرى للإنسان ، وبالتالى فى التمييز بين ما يصح فى تصرفات الإنسان أن ينسَب إلى الفطرة وما يصح أن ينسَب الى الاكتساب من البيئة الطبيعية أو الاجتماعية. بل إن هناك أيضاً موضوعات أخرى عديدة تعد من صميم الباراسيكولوجى ، وكلها وثيقة صلة بالتكوين الفطرى للإنسان ، ولذا يتعين أن نعرض لها إجمالا فى ثلاثة مباحث متتابعة ، قبل الدخول فى صميم مشكلات الفطرة والتكيف .

المبحث الأول

طائفة من الظواهر العقلية

لعل أهم الظواهر العقلية غير المألوفة ظاهرة التقاط الأفكار أو التخاطر . وهذه الظاهرة فحصت على نطاق واسع فى جميع المراكز والهيئات المعنية ، ودرسوها

---

(١) فى صفحة ٢٠٣ — ٢١٠ .

من عدة جوانب ومن مسافات قريبة وبعيدة لوثيق صلتها بسلوك الإنسان . وذلك بالنظر لصلتها الوثيقة بتأثير الإيحاء Suggestion فى هذا السلوك سواء أحدث الإيحاء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ، أم حدث للإنسان وهو فى كامل صحوه .

وهذا ما قد يحدث للكثيرين ، بغير أن يشعروا أنهم كانوا واقعين تحت تأثير خارجى أو وإيحاء أياً كان مصدره. وعلى ذلك أجمعت الدراسات فى البارا سيكولوجى [١] بما فى ذلك تلك التى جرت فى الاتحاد السوفيتى ، حيث أصبحت هذه الدراسات تلقى عناية خاصة فى العصر الراهن أسوة بالغرب ، ولنا عند ذلك وقفة كافية فى الباب الثامن.

ومثلها ســـائر أبحاث « الإدراك عن غير طريق الحواس » بكل صورها (ورمزها العلمى E. S. P.) فهى ذات صلة وثيقة بتوافر ملكات خاصة عند بعض الأشخاص من ذوى الحساسية الخاصة . ولها بدورها صلة — على نحو أو آخر — ببعض مصادر السلوك الإنسانى المتداخل فى المضمون الشامل لتكوينه الفطرى . وهذا التكوين قد يتطور بالاكتساب نتيجة المران والمثابرة ، وقد يتراجع فى هذا الجانب نتيجة الإهمال أو المقاومة .

ومن صور الإدراك عن غير طريق الحواس الجلاء البصرى Clairvoyance ، والتوقع الصحيح لبعض الأمور Precognition فى اليقظة أو فى النوم ، ويطلق عليها أحياناً وصف « ظواهر الاستشفاف » [٢] . وهى متنوعة وقد أثبتت الدراسات إمكان حدوثها وذلك عن طريق استخدام المنهج الرياضى ، وبوجه خاص منهج « احتمالات الصدفة » Calculation of Propabilities المعروف فى علم الرياضة الحديثة .

وهذه الدراسات ابتدأت تتناول عالم الحيوان أيضاً ، لأن العديد من تصرفات الكائنات الحية مثل الفراشات والطيور ، والدواب الأليفة وغير الأليفة ، قد تتصرف

---

(١) للمزيد فى هذا الشأن راجع مؤلفنا « فى الإلهام والاختبار الصوفى : جولة بين الفلسفة والتجريب » ١٩٨٥ . ص ١٩٤ — ٢١٦ .

(٢) ويطلق عليها أحياناً وصف « الحاسة السادسة » وبالفرنسية Sixième Sens ou Crypthestésie

فى العديد من الآمور بتأثير من إلهاماتها ، أو من قدرتها على الإدراك عن غير طريق الحواس . ولذا نشأ علم وليد يسمى باراسيكولوجى الحيوان Animal Para Psychology (اختزاله العلمى ANPSI)[1] .

وكل هذه الدراسات تستخدم الآن على أوسع نطاق فى جامعات الخارج ، ومعاهده ، ومؤسساته المختصة ، فى استكشاف أغوار التكوين الصحيح للكائنات الحية ، بل للعقل والطاقة والمادة ، وللوجود بوجه عام .

المبحث الثانى

طائفة من الظواهر العقلية — الفيزيقية

من أهم الظواهر غير المألوفة التى تتراوح بين الجانبين العقلى والفيزيقى ، أو هى تجمع بينهما ظواهر تأثير العقل فى المادة الصلبة تأثيراً مباشراً Psycho-Kinetic Energy (P. K.).

ومنها القدرة على تحريك الأشياء المادية ، أو تغيير أوضاعها ، أو تشويهها ، أو إصلاحها بمجرد النظر إليها أو تركيز الفكر فيها ، وبدون لمسها باليد .

وهذه الظواهر ينبغى أن تدخل فى الاعتبار عند محاولة التعرف الصحيح على أعماق التكوين الفطرى للكائنات الحية بوجه عام . وشأنها فى ذلك شأن كل الظواهر الروحية التى تشير إلى وجود ما يطلق عليه الآن بالطاقة الروحية Psychic Energy وهى لا تخرج عن كونها عنصراً من عناصر التكوين الفطرى فى الكائنات الحية عموماً .

ومنها ظواهر الهيمنة الروحية Control والكتابة المباشرة Direct Writing

---

(١) كنموذج منها راجع :

Journal of the Society for Psychical Research Vol. 55 Number 810 January 1988.

وهذه الجريدة تصدر عن « جمعية البحث الروحى بلندن » التى تأسست منذ سنة ١٨٨٢ (أى منذ مائة وثمانية أعوام) .

وهناك أيضاً ظاهرة الكتابة التلقائية Automatic Writing ، التى يكون فيها الوسيط الروحى خاضعاً لهيمنة من كائن مجهول على يده فيتغير خطه إلى مدى أو إلى آخر . وهى تختلف عن ظواهر الكتابة المباشرة فى أنه فى هذه الأخيرة لا يحتاج الوسيط لأن يمسك القلم بيده ، بل قد يتحرك القلم من تلقاء نفسه على الورق .

كما تختلف أيضاً عن ظواهر الإلهام فى أن الهيمنة فى هذه الأخيرة لا تكون على اليد ، بل تكون على العقل إلى مدى أو إلى آخر . ولذا فهى معتبرة من الظواهر العقلية ، أما ظواهر الكتابة التلقائية أو المباشرة فهى معتبرة من فصيلة الظواهر الفيزيقية ـ العقلية .

وتتميز الكتابة التلقائية بسرعة جريان القلم على الورقة إلى حد يسبب الحيرة والذهول . ولذا نجد أن غالبية وسطاء هذه الكتابة يتميزون بوفرة شديدة فى الإنتاج العلمى أو الأدبى أو الشعرى مع العمق ، والإتقان ، والاطلاع الواسع فى العديد من الحالات .

ويوجد الآن وسيط برازيلى ذائع الصيت اسمه فرانسيسكو كانديدو إكزافييه Francisco C.Xavier تلقى تعليماً ابتدائياً فحسب ، لكنه تلقى أكثر من مائتى وخمسين كتاباً فى الفلسفة ، والعلوم ، والأدب ، من مراسلين عاشوا حياتهم فى البرازيل والبرتغال .

ومن أشهر كتبه واحد عنوانه « المدينة الكوكبية »[1] وقد طبع حتى الآن أكثر من خمس وعشرين طبعة ، وترجم — شأن العديد من كتب اكزافييه — إلى عدد من اللغات الحية ، ومنها بوجه الخاص الانكليزية والأسبانية والألمانية . كما ترجم بعضها إلى لغة الاسبرانتو الدولية .

* * *

---

(١) The Astral City. 1986

والطبعة الأصلية باللغة البرتغالية ، التى لا يتقن الوسيط غيرها ، وقد ظهرت هذه الطبعة بمدينة ريودى جانيرو بالبرازيل فى سنة ١٩٤٤ .

ومن الظواهر غير المألوفة التى تجمع أيضاً بين الجانبين العقـــلى والفيزيقى استخدام لوحة الحروف الهجائية Ouija-Board ، والشغب المجهـــول المصدر Poltergeist والمجلوبات والمأخوذات الروحية Psychic Importation&Exportation والعلاج الروحى بكل صوره Spiritual Healing ، والفن الروحى Psychic Art .

فكل هذه الظواهر ترتبط بوجود طاقة معينة يطلق عليها وصف « الطاقة الروحية » وهى تتفاوت فى مقدارها ونوعها تفاوتاً ضخماً من إنسان إلى آخر ، بحسب تكوينه الفطرى الذى قد يتداخل معه قدر أو آخر من الصقل بالمران . ولما تبلغ هذه الطاقة الفطرية ذروتها يطلق على صاحبها وصف « وسيط روحى » .

نبذة عن وساطة ماثيو مانج

ومن أبرز وسطاء هذا العصر وسيط بريطانى يدعى ماثيو مانج Mathew Manning خضعت ظواهره ابتداء لأبحاث جورج أوين George Owen أستاذ علم الأجنة بكامبريدج ، وهو من المعنيين بالأبحاث الروحية .

بل إن الأمر هنا لم يقتصر على مجرد اشتراك أستاذ للبيولوجيا وعلم الوراثة فى تقصى صحة هذه الظواهر بأسلوب موضوعى ووضعى تماماً ، بل لقد سافر هذا الشاب الناشىء لكى تخضع ظواهره لتحقيق معهد متخصص فى هذه البحوث كائن بمدينة تورنتو Toronto بكندا عندما عين جورج أوين مديراً له .

وهو معهد يسمى « مؤسسة البحث فى الآفاق الجديدة » The New Horisons Research Foundation وهو واحد من عشرات المؤسسات والمعاهد المنتشرة الآن فى أنحاء العالم غرباً وشرقاً. والتى أنشئت خصيصاً لدراسة الظواهر غير المألوفة ، وإخضاعها لكل المتطلبات الصارمة التى ينبغى أن يلتزم بها أسلوب البحث العلمى المحايد، المثابر ، الناقد.

وفى هذا المعهد خضع ماثيو على مدى عدة شهور لأبحاث واحد وعشرين عالماً فى فروع شتى من العلم كما هو المتبع دائماً . وأحدهم حائز لجائزة نوبل فى الطبيعيات وهو الدكتور بريان جوسيفسون Brian Josephson ، فجاءت النتائج متدفقة متنوعة حاسمة ، ومفرطة فى خطورتها .

وذلك حتى لقد صرح جوسيفسون بعدها بأن هذه النتائج « تقتضى إعادة النظر فيما يصح أن يوصف فى الطبيعيات بأنه من الحقيقة أو من غير الحقيقة . لأن التعريفات التى كانت تنطبق على غير الحقيقة بحاجة إلى مراجعة شاملة بعد تلك النتائج الخطيرة » .

وبعد ذلك خضعت ملكات ماثيو من جديد لأبحاث فى غاية الدقة جرت فى « مؤسسة علم العقل » بمدينة سان أنطونيو San Antonio بولاية تكساس Texas بالولايات المتحدة الأمريكية . وأشرف على هذه الاختبارات الجديدة من العلماء الدكتور جارى دافيز Gary Davis ووليام بروض William Braud .

وصرح أولهما بعدها « أن ظواهره يتعذر تصديقها ، فلقد نجح فى تحقيق كل شىء يريده فيما يبدو » . وصرح ثانيهما قائلا « أن ماثيو إنسان ذو ملكات خاصة . فهو وسيط موهوب وقد نجح جيداً خلال عدد ضخم من الاختبارات المتنوعة » .

ومن أغرب ظواهره فى هذا المعهد الأخير أنه أمكنه بتركيز تفكيره على أنبوبة بها دم آدمى، أن ينجح فى إبطاء سرعة موت الخلايا . فهذه الخلايا تموت عادة بعد خمس دقائق كحد أقصى ، لكن تمكن ماثيو من أن يؤجل موت الخلايا إلى مدة عشرين دقيقة أخرى ! وقد جرت هذه الأبحاث الأخيرة فى غضون سنة ١٩٧٥ عندما زار ماثيو الولايات المتحدة الأمريكية وخضع فيها لجملة اختبارات دقيقة أغلبها جديد على العلم .

هذا وقد سرد ماثيو وصف العديد من الاختبارات والأبحاث التى جرت عليه فى عدة معاهد فى مؤلف له صدر فى سنة ١٩٧٧ عنوانه « فى عقول الملايين »[١] . ولكن لعل أهم الاختبارات التى أجريت عليه هناك وأوسعها نطاقاً تمت فى جامعة كاليفورنيا ، وتضمنتها خمسة تقارير علمية نشرت فى مجلة الجامعة فى غضون سنة ١٩٧٧ .

• • •

(١) In The Minds of Millions.

وبعد كل ذلك ، بل قبل كل ذلك ، فنحن لسنا هنا بالمرة إزاء وساطة احتراف أو اتجار حتى نشك ، أو حتى يحق لنا أن نشك فى صحة هذه الظواهر النادرة وفى دقة سردها ، سواء بمعرفة صاحبها أم بمعرفة العلماء الباحثين . بل نحن إزاء طاقة وساطية فريدة بدأت بظواهر شغب مجهول المصدر اندلعت تلقائياً فى حضور فتى فى الحادية عشرة من عمره من أسرة مثقفة وثرية كانت تسكن منزلا رحباً يدعى كوينز هاوس Queens House لكنه منزل قديم مكون من جناحين بنى أحدهما فى سنة ١٦٠٠ وثانيهما فى سنة ١٧٣١ . وهذا المنزل يقع بناحية لنتون Linton بالقرب من ضاحية كامبريدج Cambridge بجوار لندن حيث توجد تلك الجامعة العريقة التى تحمل نفس اسم هذة الضاحية .

وهذه الأسرة ما كانت تتوق إلى حدوث هذه الظاهرة ، بل لقد انزعجت منها جداً ، وقاست منها إقلاقاً شديداً — خصوصاً لأنها استمرت أمداً طويلا ، وتعرض ماثيو بسببها لمتاعب ضخمة متوالية فى مدرسته الداخلية من قبل بعض أصدقائه وأساتذته . وكان يهم الأسرة فحسب شىء واحد وهو العثور على وسيلة ما لمحاولة السيطرة عليها ولإيقاف حدوثها .

ولذا لجأت الأسرة إلى علماء عديدين من بينهم الدكتور جورج أوين George Owen الأستاذ بجامعة كامبريدج كباحث علمى له عدة تحقيقات ممتازة فى بعض ظواهر الشغب المجهول المصدر التى اندلعت فى انجلترا واسكتلندا .

* * *

وفى النهاية أمكن السيطرة على ظواهر الشغب ، ولم يكن ذلك عن طريق تدخل جورج أوين أو غيره من الباحثين ، بل عن طريق مختلف تماماً : وهو ليس من ابتكار ماثيو كما تصور خطأ جورج أوين ، بل عن طريق الإيحاء أو التأثير الذى تلقاه الفتى القلق المتحير من قبل أرواح راقية يبدو أنها بدأت فى التدخل لإنقاذ الفتى وأسرته من هذا التعذيب ومن الآثار الوخيمة لهذا الشغب ، ومن الإزعاج المستمر بلاسبب ظاهر .

وهذه الأرواح الراقية نفسها وجدت فى ماثيو طاقة روحية متدفقة أمكنها أن

تستخدمها فى تحقيق إنجازات فنية ضخمة . ويتضح تماماً من متابعة هذه الإنجازات أن هدفها الأساسى كان هو فى المقام الأول إنقاذ الأسرة من الشغب ، ثم محاولة إثبات وجودها ، وتأكيد شخصياتها أيضاً ، وذلك بوسائل شتى من الهيمنة على هذا الفتى الموهوب عن طريق حسن استخدام طاقاته الروحية المتعددة . فكانت تلك الوسائل المتنوعة ، والتى وردت بلغات شتى لا يعرفها وفى موضوعات متباينة لا صلة له بها ؛

وذلك كله بالإضافة إلى الرسوم الرائعة ، واللوحات الفنية العديدة التى تحوى كل خصائص صفوة لا يستهان بها من كبار الفنانين ذوى السمعة العالمية ، والذين انتقلوا من دار الفناء إلى دار البقاء فى عصور شتى من التاريخ . والذين لا يعرفهم ماثيو بطبيعة الحال ولا صلة له بهم ، لأنه كما قلت مجرد فتى مقبل على فجر شبابه يواصل دراسته الثانوية ولا يحوز أية ميول للرسم ؛

وبطبيعة الحال فلا مصلحة له فى إضاعة وقته فى اصطناع هذه اللوحات العديدة عن طريق التقليد ، ولا قدرة له أو لغيره من الناس — ولو كان أحدهم فناناً أصيلا — على تقليد أساليب عشرة من فنانى القمة ذوى الأساليب المختلفة ، والمواهب المتنوعة ، وينتمون إلى عصور وإلى أجناس متباينة . ولا مصلحة له أو لغيره فى التنصل من تحقيق كل هذا الإنتاج الفنى الرائع المتنوع لو صح صدوره منه . ولا قدرة له — ولا لغيره — فى تقليد خطوط أعلام راحلين فى رسائل مطولة ، ناهيك بتقليد التوقيعات لهذا الشخص أو لذاك .

وهو يشعر تماماً أنه مجرد قناة Channel آدمية لكائنات عليا متطورة تريد أن تثبت وجودها عن طريقه ، وذلك لبث السلام والاطمئنان فى نفسه ، ونفس أسرته . وفيما بعد فى نفس دارسى هذه الظواهر ومتابعيها على اختلاف لغاتهم ، وأجناسهم . لأن حقائق الكون ملك للجميع ، ولا تنتمى لأى شعب من الشعوب ، بل إن جميع شعوب الأرض هى التى تنتمى إليها ، ويلزمها أن تفيد منها .

* * *

وقد لخص ماثيو موقفه فى هذا الشأن فى عبارات تتسم بالبساطة والصدق فى محاضرة له قال فيها : « إننى مقتنع بأن هذه الملكات خامدة فينا كلنا . لكن الظواهر التى بمقدورها أن تحدث ليست هى الشىء الهام . إن لها ببساطة وظيفة الزهور فى الطبيعة ، فى أنها تجتذب اهتمام الناس ولكن إلى مستويات أخرى من الحقيقة ، ومن اليقظة الروحية ، وهذا هو ما ينبغى أن نهتم به . .

وتظهر العديد من الاختبارات التى مرت بى ، أنه فى مستوى معين تكون جميع الكائنات الحية مترابطة فيما بينها . فكل شىء يمثل جزءاً من كل شىء آخر ، وكل شىء متناسق .

ولعل الناس إذا أدركوا ذلك يكون لديهم المزيد من احترام بعضهم البعض ، ومن احترام لكل العالم من حولهم . وهذا بالنسبة لى أهم من هذه الظواهر ، أو من التأثير فى عمل العقول الالكترونية » .

* * *

وهذه النظرة الإنسانية الواضحة البسيطة التى وصل إليها ماثيو ، التقى عندها جميع الباحثين الروحيين بغير استثناء . ولعلها وحدها تعلل الحرب العوان التى تلقاها هذه البحوث الجديدة على الفكر الإنسانى بسبل متنوعة من الاندفاع والارتجال ، ومن الرغبة فى إرضاء مشاعر الزهو والغرور عند الجهال .

والتعليل الواضح لهـذه الظواهر كلها هو ذلك الذى أقنع الآلاف من العلماء الجادين الذين بدأوا منكرين إياها من أساسها : وهو دوام الحياة الإنسانية بعد تخليها عن الجسد المادى . وهذا التعليل الواضح البسيط يلتئم مع كتلة معارف الإنسان فى شأن الطبيعيات ، والبيولوجيا ، والتطور ، واللا شعور ، والإدراك خارج الحواس ، والصلة بين العقل والمادة ، والنمو ، وتجدد الأنسجة والخلايا وغيرها ....

نماذج بالصور من الهيمنة الروحية

على مائيو مانيج

مائيو مانيج

هذا الفتى كان فى السادسة عشرة من عمره عندما كان يكتب « تلقائيا » رسائل عديدة بلغات لايعرف من بعضها حرفا واحدا ، منها اللغة العربية التى كتب بها عدة رسائل .

كما كتب عدة رسائل أخرى بالايطالية ، والالمانية ، واليونانية ، واللاتينية ، والروسية ، وببعض اللغات الشرقية ، وبالانكليزية القديمة أو لغة الساكسون .

الحياة مكونة من قوى عديدة تمشى خلالنا الى نهاية الزمن .
والغريزة الحسمية لد تخلقنا لاننا كلنا سنجتمع فى النهاية .
والحب سيحطم جميع الفوارق .

بعض العبارات التى كتبها مائيو باللغة العربية التى لايعرف منها حرفا واحدا . لاحظ مدى وضوح الخط ، والمغزى الروحى للعبارات .

نماذج أخرى من هذه الهيمنة

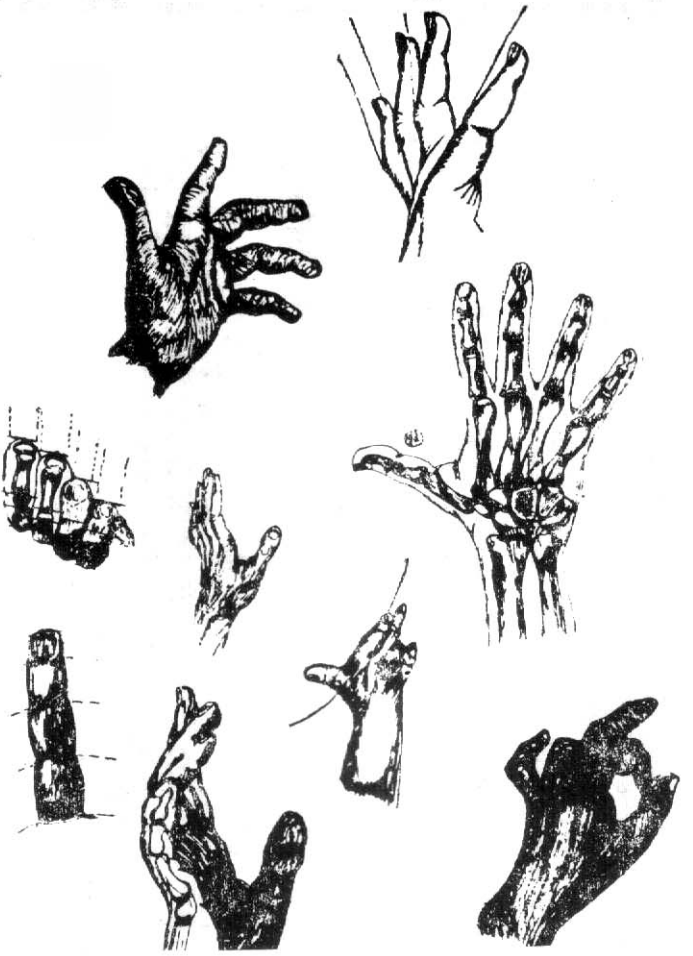

عندما سمح ماثيو لنفسه أن يكون بمثابة قناة بين العالمين لتلقى الرسوم والكتابة التلقائية منذ شهر يونيه سنة ١٩٧١ تراجعت ظواهر الشغب إلى الحد الأدنى .

وفى شهر نوفمبر من نفس العام وجد يده ترسم تلقائياً تخطيطاً لليدين اليمنى واليسرى تظهر فيه أدق التفصيلات التشريحية .

وفى خلال ساعة واحدة كانت الورقة التى أمامه قد امتلأت بتسعة رسوم فنية رائعة . وظهر فى نهايتها توقيع A. D (البرخت ديورر Albrecht Durer) وهو رسام ونحات ألمانى قديم (١٤٧١ — ١٥٢٨) من مستوى رفيع .

لاحظ مدى دقة تشريح اليدين اليمنى واليسرى معاً لإظهار المفاصل ، والعظام ، والعضلات ، والأعصاب ، والشرايين من زوايا مختلفة ، وفى أوضاع متباينة .

عدة نماذج أخرى

رسوم أخرى عديدة مرسلة بطريق الرسم التلقائى من ألبرخت ديورر . وتتضمن تشريحاً دقيقاً لمخالب بعض الطيور ومناقيرها . وقد وضع الفنان المراسل توقيعه بالحرفين الأولين من اسمه كعادته A. D بوضع زخرفى معروف عنه فى أسفل الرسوم إلى اليمين .

متابعة : نموذج آخر من ظواهر الهيمنة

أنظر خلال النافذة تدرك مدى عظمة الفنان

اليزابث الأولى اللوحة الأصلية مساحتها ٢١ — ٢٥ بوصة

كانت اليزابث الأولى ملكة انجلترا من سنة ١٥٥٨ إلى سنة ١٦٠٣ وهى ابنة هنرى الثامن . ولدت فى جرينوتش فى سنة ١٥٣٣ وتوفيت بلندن فى سنة ١٦٠٣ . وكانت معروفة بالبأس ، والنشاط ، والقسوة مع خصومها ، وبالعناية برعاية الآداب ، والفنون ، والتجارة .

ويبدو أن اللوحة تمت بهيمنة من روح أيزاك أوليفر وهو فنان بريطانى من أصل فرنسى . وكان معاصراً للملكة اليزابث (ولد فى سنة ١٥٥٦ وتوفى فى سنة ١٦١٧) . وكانت شهرته بالذات فى هذا النوع من الرسم الدقيق Miniature الواضح فى اللوحة .

روح بيكاسو يهيمن على ماثيو

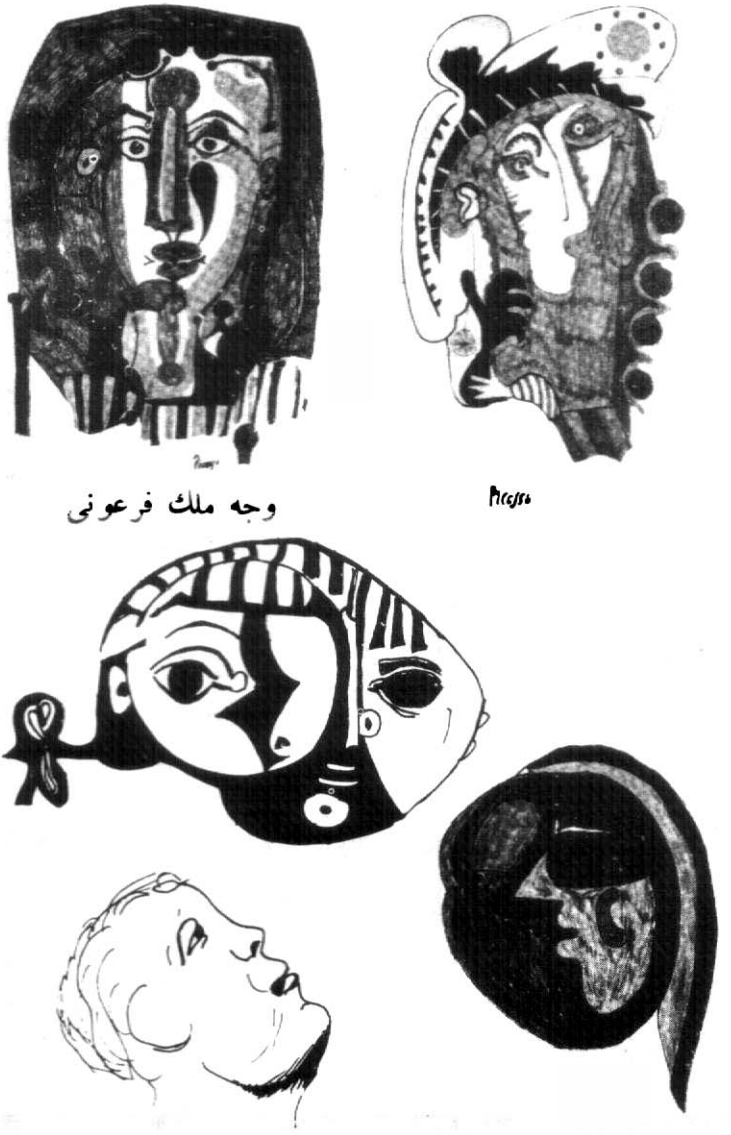

وجه ملك فرعونى

وجه ملك فرعونى

خمسة رسوم تلقائية وردت عن طريق ماثيو منها اثنان من أعلى يحملان توقيع الرسام السبريالى العالمى بيكاسو Picasso (١٨٨١ — ١٩٧٣) ، والرسوم الثلاثة الباقية لا تحمل توقيعاً ، وان كانت تحمل طابع فن بيكاسو .

نبذة عن وساطة الشقيقتين بانجز

نتيجة لاجتماع الهيمنة وتوافر الطاقة الروحية أمكن تسجيل طائفة من الظواهر الفيزيقية العقلية للوساطة كان من حقها أن تثير الدهشة والذهول حتى فى دوائر العلم الروحى وقد جرت هذه الظواهر تحت شروط الاختبار العلمى .

وكانت هذه الظواهر الفريدة من أندر ما سجلته التحقيقات الجادة فى تاريخ البحث الروحى كله، وهى ظواهر من « الرسم المباشر » بدون تداخل أى يد بشرية . بل كان المطلوب هو الجلوس الهادىء بجانب قطعة قماش مشدودة ، لتظهر عليها لوحات رائعة من الفن الوارد من عالم الغيب بطريقة مباشرة .

وأروع هذه الظواهر ما جرى فى حضور الشقيقتين إليزابث (وشهرتها لزى) وماى بانجز Elisabeth &May Bangs من مدينـــة شيكاغو بولاية إلينوى Illinois الأمريكية . ولم تمسك أية واحدة منهما بفرشاة ولا يوجد باللوحات أى أثر لفرشاة . وكان الرسم التلقائى يجرى علناً وأحياناً فى ضوء النهار . وكانت اللوحة تتكامل تلقائياً فى خلال بضع دقائق . ولم يسبق للوسيطتين أن تلقيتا أية دروس فى فن الرسم .

وغالبية اللوحات تمثل وجوهاً لأشخاص كانوا ما يزالون أحياء ولم يكن لأى منهم لوحة بهذا الشكل من قبل ، فلا يمكن أن يقال فى هذه اللوحات إنها تقليد أو تكرار للوحات مماثلة موجودة فى أى مكان فى العالم[١] .

وقد بدأت هذه اللوحات التلقائية ترد فى حضور الشقيقتين بانجز منذ سنة ١٨٩٤ . وكانت هذه الظاهرة تحتاج فى مبدأ الأمر إلى وضع قماش اللوحات فى صندوق مغلق أو فى مكان به ستائر . ثم أخذت تحدث علناً وفى ضوء النهار ، وفى سرعة متزايدة حتى كانت اللوحة تكتمل أحياناً فى غضون بضع دقائق . وأطلقوا

---

(١) والقليل منها يمثل شخصيات تاريخية : مثل كيلوبطرا ملكة مصر ، وفيكتوريا ملكة بريطانيا .

على هذه الظاهرة وصف « اللوحات الروحية المباشرة » Direct Spirit Portraits أسوة بظاهرة « الكتابة المباشرة » .

والراجح أن هذه اللوحات كلها من صنع روح الرسام الهولندى الشهير بول بيبر روبنز Paul P. Rubens (١٥٧٧ — ١٦٤٠) لأنها تحمل كل السمات المميزة لفنه الرفيع التى يعرفها خبراء الرسم .

وقد عنى بتحقيق هذه الظواهر الأدميرال أوسبورن مور Usborne Moore نائب رئيس البحرية . واستمرت تحقيقاته من سنة ١٩٠٩ إلى سنة ١٩١١ . وكان الأدميرال متشدداً فى تحقيقاته ، فكان يختم جميع المنافذ ويفتش القاعة ، ويراقب حركات الموجودين ، وكانت الظواهر تحدث فى ضوء النهار منذ بدأ فى التحقيق إلى أن انتهى منه .

وعندما وضع قطعتى قماش متقابلتين ، وعلقهما على النافذة فى وضح النهار تم عمل رسمين مباشرين فى أقل من نصف ساعة وجاءا خاليين من أى أثر لفرشاة[١] ، ولم يكن فى الغرفة أية أدوات للرسم . وكان أول الرسمين يمثل كليوباترا ، أما ثانيهما فيمثل أيولا Iola الروح المرشدة للأدميرال مور . وبعد نقلهما إلى المنزل حدثت بهما تلقائياً تغيرات هامة ولمسات تلقائية زادتهما روعة وجمالا .

كما قام بالتحقيق علماء آخرون من انجليز وأمريكيين ، وتحدثوا عنها فى مؤلفاتهم[٢] . ومما هو جدير بالذكر هنا أنه كانت تحدث فى حضور هاتين الشقيقتين ظواهر روحية أخرى : منها إحضار أشياء من مصدر غير معلوم[٣] ، وحدوث

---

(١) ولم يكن أسلوب الرسم بدون ظهور أى أثر لفرشاة قد عرف بعد فى دوائر الفن ، بل ظهر هذا الأسلوب الجديد فى تاريخ لاحق لهذه الظواهر ، وهو ما يضفى مزيداً من الاطمئنان إلى مصدرها الروحى .

(٢) منهم جيمس كوتس فى كتابه عن « تصوير غير المنظور » .
Photographing The Invisible

(٣) وهذه تسمى ظاهرة « المجلوبات الروحية » .
وهى ظاهرة ارتبطت فى بلادنا باسم المرحوم الشيخ سليم الطهطاوى . وتحدث عنها شهود رؤية عديدون : منهم الفنان الراحل الأستاذ يوسف وهبى فى كتابه بعنوان « عشت ألف عام » . والأديب المعروف محمود رمزى نظيم فى كتاب خاص عنوانه « عرش بلقيس » وغيرهما ممن شاهدوا ظواهره بأنفسهم .

تغيرات كيميائية فى بعض السوائل . لكن أهم ظواهرهما هى هذه اللوحات الرائعة ذات الألوان الزاهية التى ما تزال محتفظة إلى الآن بكل جمالها ورونقها[١] .

وبعض هذه اللوحات معروض فى « المعبد الروحى » الكائن بالقاعدة البحرية فى بورتسموث Portsmouth بولاية هامبشير Hampshire حيث يعقد « الاتحاد الوطنى للروحيين » Spiriualist National Union مؤتمره السنوى .

وها هى بعض نماذج من هذه اللوحات الفريدة فى تاريخ الفن ؛ بمقدار ما هى فريدة فى تاريخ التحقيقات الروحية كلها : —

---

(١) للمزيد عن الفن الروحى بوجه عام راجع كتاب « الاتصال بين عالمين » الطبعة العربية سنة ١٩٨١ ص ٢٣٥ — ٢٩١ ، وكتاب « فى الإلهام والاختبار الصوفى : جولة بين الفلسفة والتجريب ». سنة ١٩٨٦ ص ٢٢ — ٢٦ .

نماذج من لوحات « الرسم المباشر » التى صنعت نفسها بنفسها فى حضور الشقيقتين ماى ولزى بانجز

The Bangs Sisters, May and Lizzie, whose mediumship is responsible for remarkable spirit portraits.

الوسيطتان ماى وليزى (اليزابث) بانجز . وهذه اللوحة التى ظهرت تلقائياً ليست مطابقة لأية صورة عادية لهما ، بل جاءت مغايرة لهذه الصور فى زاوية الالتقاط ، وتعبيرات الوجه ، والملابس .

لوحة للسيد دويرتى Daugherty الذى تصادف حضوره فذهل عندما وجد وجهه الخاص يبنى نفسه بنفسه على قماشة اللوحة ، ثم ظهر وجه زوجته بجواره . وعندما تساءل مداعباً « لماذا لا تظهر صور الأطفال » ؟ ظهر وجه طفلتيه التوأمتين ، فأكملت بذلك هذه اللوحة الفريدة فى نوعها .

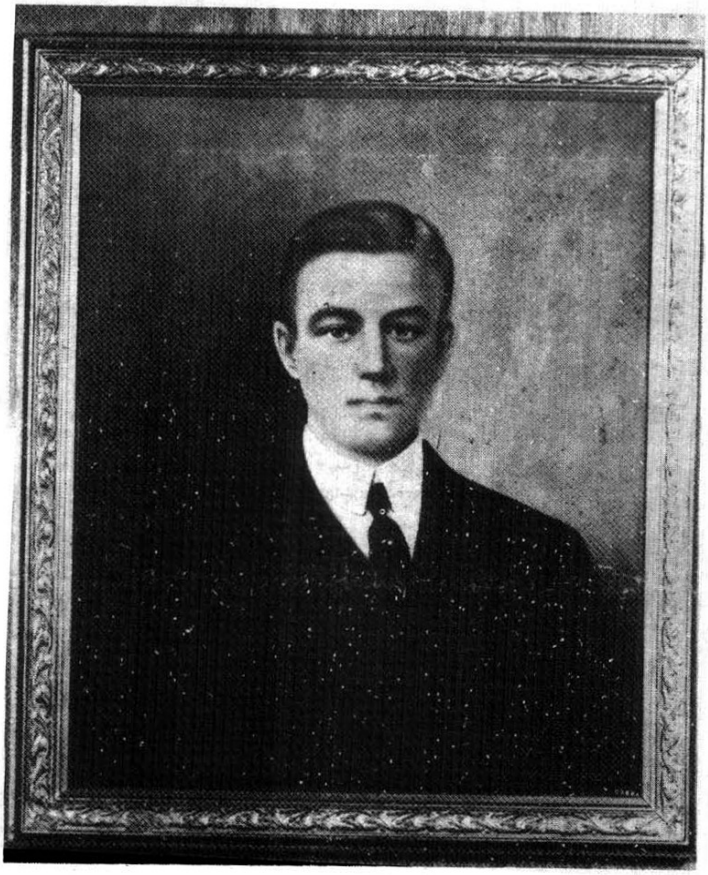

1. Here is the son of Wilson Jessup, an outstanding direct-voice medium at Camp Chesterfield. His mother, Mrs. Lydia Jessup, was the camp secretary for many years.

لوحة تمثل ابن ويلسون جيساب الذى كان وسيطاً للصوت المباشر بمعسكر روحى يقع فى شسترفيلد ، وكانت والدته السيدة ليديا جيساب سكرتيرة هذا المعسكر .

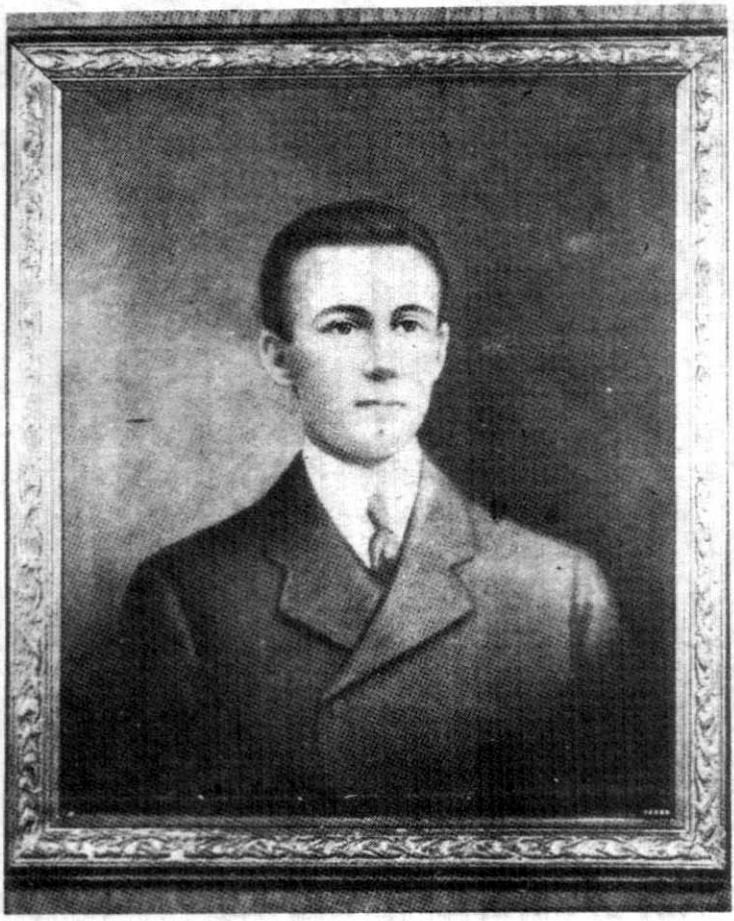

2. This precipitated portrait of Wilson Jessup's son shows a striking likeness to that of his brother (at top of page). His parents were leading Spiritualists at Camp Chesterfield which now owns the paintings, and many others produced by the Bangs sisters.

لوحة تمثل ابن آخر للسيد ويلسون جيساب وكان والده من رواد المعسكر الروحى الكائن بناحية شسترفيلد . وهذا المعسكر هو حالياً صاحب هذه اللوحة وغيرها من بعض اللوحات التى أنجزت نفسها تلقائياً عن طريق الشقيقتين بانجز ! !

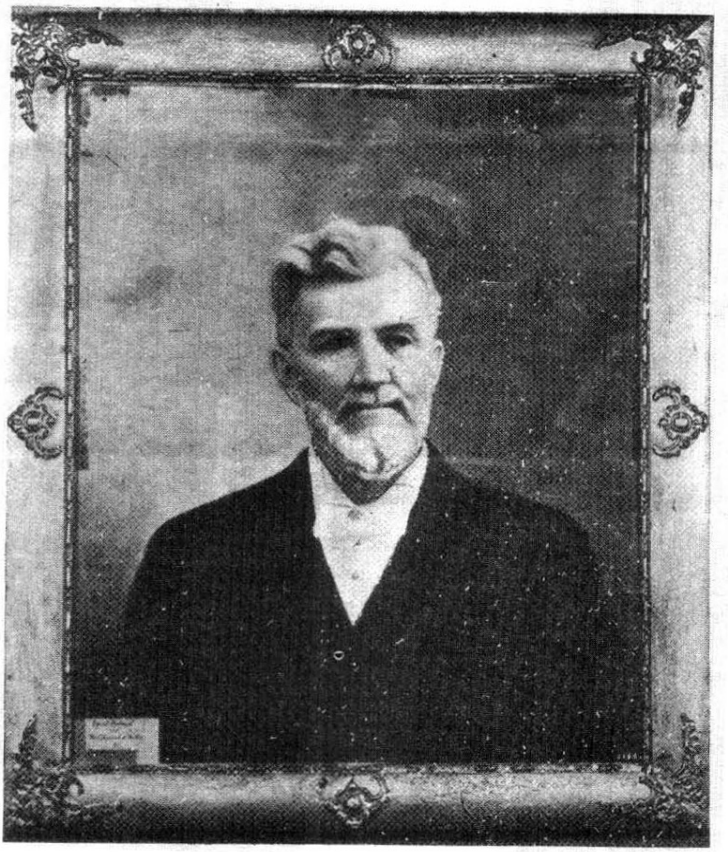

This portrait was received at a public demonstration in the auditorium at Camp Chesterfield, before a large audience. It is of Alex P. McKee, one of the founders and a former president of the Indiana Association. His granddaughter still lives there.

A plain canvas was placed on an easel and examined by a committee who testified that it had no markings or signs of chemical treatment. Numbers were drawn. The holder of the corresponding ticket went up to the platform to receive a painting of a spirit relative or friend. This perfect likeness appeared in under half an hour.

لوحة أخرى وردت من الغيب فى جلسة عامة فى إحدى قاعات معسكر شستر فيلد أمام جمهور غفير . وهى تمثل السيد أليكس ماكى الذى كان أحد مؤسسى « جمعية إنديانا الروحية » ورئيسها السابق .

وقد فحصت لجنة علمية قماش اللوحة قبل ظهور الرسم عليها للتحقق من أنه لا يحمل أية علامات ، أو أية مواد كيميائية . وتم إنجاز هذه اللوحة فى أقل من نصف ساعة .

3. Lillian Keeler's portrait also showed, like her brother's, a remarkable facet of the Bangs sisters' psychic ability. After the painting was hung in her parents' Indiana home, the delicate pink rose, on the front of her dress, was precipitated.

لوحة للسيدة ليليان كيلرز أظهرت نفسها تلقائياً . وهى تحمل – شأن مثيلاتها – خصائص الطاقة الروحية الفنية للشقيقتين بانجز . ولم تكن زهرة القرنفل الموضوعة على فستانها واضحة فى مبدأ الأمر ، لكن بعد تعليق اللوحة فى منزل والديها بمدينة إنديانا وضحت الزهرة عما كانت عليه من قبل من تلقاء نفسها .

The remarkable story behind these portraits, which seemingly painted themselves, is told in a special Portsmouth feature which appears on Pages 4 and 5.

لوحة رائعة لسيدة أخرى ظهرت فى حضور الشقيقتين بانجز ، بنفس الأسلوب الإعجازى الذى يبدو منه كما لو كانت هذه اللوحات تصنع نفسها بنفسها، وذلك بين ذهول المراقبين وعجزهم عن التعليل .

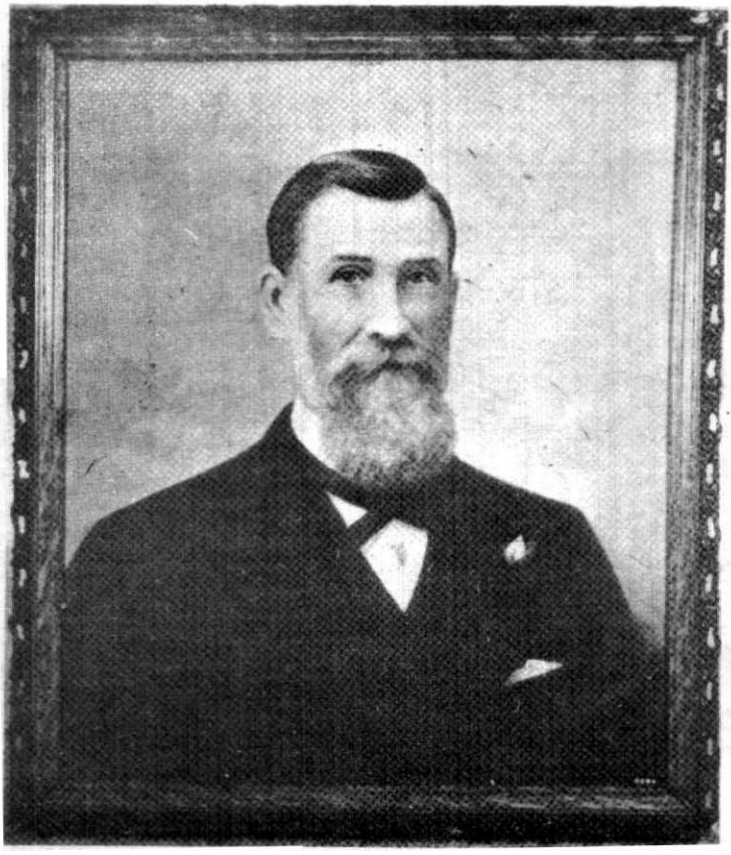

Dr. J. Westerfield was one of four medical men who helped found the Indiana Association of Spiritualists. This group met regularly for three years in a hall named after Dr. Westerfield in the public square in Anderson, Indiana. In 1878 they decided to buy the land which is now the official camp. Dr. Westerfield donated the initial sum for the purchase. He was elected president. A relative received this portrait which was later donated to the Hett Memorial Art Gallery. It is among 30 similarly produced portraits which intrigue visitors to this unique exhibition.

لوحة تمثل الدكتور ج. وسترفيلد الذى أسهم فى إنشاء « جمعية إنديانا الروحية » ، وكان رئيساً لها فى وقت ما . وقد تبرع أحد أقربائه بهذه اللوحة إلى « قاعة هيت التذكارية للفن » وهى معروضة هناك ضمن لوحات أخرى كثيرة تم إنجازها بنفس الأسلوب الإعجازى .

كياوبطرا ملكة مصر ، ولم تكن هذه اللوحة كاملة فى مبدأ الأمر . ثم ظهرت عليها تفصيلات لاحقة حتى بعد تعليقها فى منزل الأدميرال أسبورن مور ، ولم تجف ألوانها لفترة من الوقت . وقد ظهرت هذه اللوحة تلقائياً بنفس الأسلوب الذى ظهرت به اللوحات الأخرى . وكان الأدميرال يجلس على بعد متر واحد من القماش فى أثناء ظهور هذه اللوحة .

طائفة من التساؤلات

لا تقتصر الأبحاث الروحية على مجرد تسجيل الوقائع الروحية بعد التيقن من ثبوتها . بل هناك دائماً عدة مراحل متعلقة بمحاولة تحليل كل طائفة من هذه الوقائع إلى العديد من القضايا الفرعية للإجابة — على قدر الإمكان — على كل التساؤلات المنطقية التى من حق العقل أن يثيرها بشأن أية طائفة منها .

ففى ظواهر الفن المباشر — كما فى ظواهر الكتابة المباشرة والتلقائية — هناك العديد من التساؤلات الهامة التى من حق العقل أن يثيرها ، ومنها على سبيل المثال :

— كيف أن روبنز فنان القرن السابع عشر الذى رحل فى سنة ١٦٤٠ ما يزال حياً فى الأثير ؟ !

— كيف أنه ما يزال محتفظاً بنفس ملكاته الفنية ، وربما على صورة أوضح مما كانت ؟ !

— وكيف أنه يمكنه الآن أن يواصل إشباع ملكاته الفنية بهذا الأسلوب ؟ !

— ولماذا يجرى الرسم بهذا الأسلوب ؟ !

— وكيف يجريه ؟ !

— وما هى ماهية الطاقة الروحية التى قد تتوافر له عند جلوس الشقيقتين معاً ؟ !

— وكيف يستخدمها ؟ !

— ومن أين يجىء بالألوان الرائعة التى يستخدمها ؟ !

— وكيف يجىء بها ؟ !

— ومتى تكون الظروف مؤاتية له ، ومتى لا تكون ؟ !

— وكيف يلحق ببعض اللوحات أحياناً تغيير وتصحيح تلقائى حتى فى غير حضور الوسيطتين ؟ !

— وكيف يحصل على ملامح الشخصيات التاريخية التى رسمها ، لكى يرسمها بكل هذه البراعة ، وهذا الجمال ؟ !

• • •

— ومع كل هذه التساؤلات يثار بطبيعة الحال التساؤل الأزلى عن صلة العقل بالمادة ، وعن ماهيتها ، وعن مداها ؟

— وبالتالى عن قدرة العقل على التأثير المباشر فى المادة ، وماهية الطاقة الفعالة فى هذا التأثير Psycho - Kinetic (اختزالها العلمى P. K.) وحدود نشاطها وقصورها ؟

— وهذا من شأنه أن يثير التساءل عن ماهية العقل وحدوده ، وصلته بالروح وهل هما متداخلان أم متميزان ، وإلى أى مدى وعلى أى أساس ؟ .

— وأيضاً يصبح مشروعاً التساؤل عن صلة كنه المادة بحدوث هذه الظواهر ، وهو ما يفتح الباب على مصراعيه للبحث فى المادة وذراتها وجسيماتها . وعن الكتلة بوصفها تعادل مربع سرعة الضوء بحسب إحدى المعادلات الشهيرة لأينشتين .

— وأيضاً للحديث فى الكون كله بوصفه محض اهتزاز أثيرى ، وكيف أن كل ظواهر الوجود عبارة عن محض أثير يهتز بسرعات متباينة ؟ وتستوى فى ذلك ظواهر الصوت ، والكتلة ، والضوء ، والطاقة . . وكيف أنه يمكن تبادل التحول بين المادة والطاقة ؟ وكيف أن أيهما لا تفنى ولا تستحدث ، حتى وإن كانت تقبل التحول من حالة إلى أخرى ؟

— كما يصبح مشروعاً التساؤل عن طبيعة الهالة الأثيرية المتداخلة فى الجسم العضوى والمحيطة به ، وعن حقيقة كنهها ، وأوصافها ووظائفها المألوفة وغير المألوفة ، علماً بأنه توجد أجهزة متطورة للرصد وللقياس تساعد فى إلقاء بعض الضوء على هذه الأمور .

— كما يصبح مشروعاً التساؤل عن صلة هذه الهالة الإنسانية بكل هذه الظواهر المألوفة وغير المألوفة ، وعن كيفية أدائها هذه الوظائف الشاسعة المدى والبعيدة الأثر ؟ . .

— ومثله التساؤل عن صلة كل هذه الأمور بالفلسفة الطبيعية ويستوى فى ذلك جانبها الفيزيائى مع جانبها الذى يلى مباشرة الفيزياء Para - Physics ؟ . .

— وهكذا الشأن فى موقف المنهج العلمى من التساؤلات المماثلة التى يمكن أن تثيرها كل ظواهر الهيمنة الروحية أياً كان شكلها، أو مصدرها ، أو أسلوبها . . . وهى كثيرة ومتنوعة . ويمكن أن تكون مصدراً بالتالى لعدد لا يحصى من التساؤلات المشروعة التى من حق العقل أن يطالب بالإجابة المحددة المقنعة عنها بما يرضى المنهج العلمى.

• • •

ومن المحال أن تكون كل الإجابات مقيدة بمعارفنا الضئيلة عن النواميس الفيزيقية التى تحكم الوجود العضوى . لذا قرر كارل يونج ، وهو أبرز اسم فى علم النفس الحديث ، « أن الروح حقيقة وأمر واقع ، لأنها تعمل بنشاط جم . ولأنها بذاتها حقيقة فيزيقية لها قوانينها ، وطاقاتها ، وأسبابها ، وأهدافها ، وتطورها ، ومسالكها الخاصة المتميزة عن سائر الحقائق الفيزيقية الأخرى » .

وإذا كانت مهمة الباراسيكولوجى هى تقصى مدى صحة هذه الظواهر وتمحيصها ، فإن عهمة علم الروح الحديث هى الإجابة — أو محاولة الإجابة — عن العديد الذى الذى لا يحصى من التساؤلات المشروعة بشأنها .

ويشترك مع « علم الروح » فى هذه المحاولة « علم السيكوترونيا Psycho Tronics أى « النشاط النووى الروحى .» وذلك باستخدام معطيات الفيزياء على أوسع نطاق ومعها معادلات الرياضة الحديثة ، كنقاط انطلاق للبداية لا للنهاية ، أى للانطلاق من المعلوم إلى المجهول من هذه المعطيات التى لا تنتهى أبداً .

وكل هذه العلوم موضع نشاط لا يتوقف الآن من الجامعات ومراكز البحث فى الغرب والشرق . وهذا النشاط يتكشف كل يوم عن تطورات بالغة الأهمية فى خدمة المعارف المعاصرة ، وقبل كل شىء آخر فى خدمة تخفيف آلام الإنسانية المعذبة وأهوالها . وذلك على نطاق واسع لم يألفه من قبل الركب العلمى فى أى عصر من عصور التاريخ .

أفليس من حقنا نحن العرب — بل من واجبنا — أن نسهم فى هذا الركب الإنسانى الحافل بالإنجازات ؟! أم أن من واجبنا على العكس من ذلك أن نغلق النوافذ وأن نضرب

حصاراً عاتياً بلا سند ولا منطق على هذا الركب أينما سار ، لأننا مثلا لا نؤمن برسالة العلم والعلماء ؟ ! . . أو لأننا لا نعترف بخلود النفس وروحانية هذا الخلود والوجود ؟!. إنى أدع الإجابة لفطنة القارىء الكريم لا لقلمى الضعيف .

المبحث الثالث

طائفة من الظواهر الفيزيقية

الظواهر الفيزيقية غير المألوفة متنوعة كثيراً ويضيق عنها المقام الحالى . لكن لا ينبغى أن يضيق عن وقفة عابرة عند ظواهر التجسدات Materialisations مقرونة بتقديم عدد كاف من الصور الحاسمة بشأنها .

وظاهرة تجسد الأرواح هى أخطر الظواهر الفيزيقية وأندرها . وقد حققها علماء كبار فى دول عديدة ، وتحققوا منها بإخضاع الروح المتجسدة مؤقتاً لفحوص طبية دقيقة ، وبتصوير الروح المتجسدة فى أوضاع تنتفى فيها احتمالات الوهم ، أو الخداع ، أو الإيحاء الفردى أو الجماعى . وكان ذلك فى عدة بلاد منها انجلترا ، وفرنسا ، والدانمارك ، وأمريكا ، وإيطاليا ، وكندا ، والبرازيل ، وألمانيا ، وبولندا ، والسويد ، واليابان وغيرها . . .

وفيما يلى نقدم بعض نماذج من هذه التجسدات والتى تأيدت بصور فوتوغرافية التقطت تحت ظروف الاختبار العلمى . ومن يريد الاستزادة فى هذا الموضوع الخطير فليرجع إلى « مفصل الإنسان روح لا جسد » فقد أفردنا له مكاناً فسيحاً يتفق مع خطورته البالغة[1] .

إنما يهمنى هنا أن أوجه الأنظار إلى مدى احتفاظ الإنسان بملامحه الخارجية حتى بعد ما يغادر عالم المادة إلى عالم ما وراء المادة . وكأن ملامح الإنسان محفورة فى

---

(١) راجع منه جـ ١ سنة ١٩٧٥ ص ١٧٧ — ٢١١ ، ٥٢٧ — ٦٥٥ .

ذاكرته ، أو بالأدق هى راسخة فى وعيه ولا شعوره الخاص لا تريد أن تتزحزح عن الذاكرة والوعى كالعديد من المواهب والملكات ! ! .

وهى لا تتزحزح عن الذاكرة حتى بعد العودة للتجسد — لأن لها جذورها الثابتة فى وعى صاحبها — كما يتضح من الصور الحاسمة . وإن كان ثمة تغير فى هذه الملامح فهو تغير محدود المدى كأنه يريد على أية حال أن يحافظ على الملامح من الضياع فى غمرة التجسد أو العودة للتجسد فى جسد آخر جديد .

بل لقد اتضح من بعض التجارب النادرة — بل الفريدة فى نوعها — أن حتى بصمة الاصبع قد تحتفظ عند التجسد بنفس طابعها القديم لا تريد أن تحيد عنه ، كما ظهر من البصمات التى أخذت للروح والتر ستنسون Walter Stinson الذى تجسدت يده عن طريق شقيقته الوسيطة مارجرى Margery عقيلة الدكتور كراندون أستاذ الجراحة بجامعة هارفارد .

وهذه التجارب الأخيرة بالغة الخطورة فى تطور علم الروح ، وقد جرى بعضها فى حضور وليام مكدوجال W. Mc Dougall أبرز علماء النفس فى زمانه . وكانت سبباً فى إنشاء قسم خاص للباراسيكولوجى بجامعة ديوك Duke بالولايات المتحدة .

وهذه التجارب حسمت فى نظر لفيف من قمة العلماء مشكلة دوام الحياة بعد موت الجسد العضوى . كما حسمتها أيضاً اختبارات صنع نماذج من الشمع المجوف لتجسدات الأيدى والأقدام على ما سوف يتضح بعد الاطلاع على اللوحات العديدة التى نقدمها للقارىء فى هذا الفصل ، وكلها تمثل تجسدات تامة أو جزئية للجسد الروحى أو الأثيرى لبعض الراحلين .

دلالة هذه الظواهر فى إثبات الجسد الروحى للانسان

وهذا الجسد الروحى ، أو الأثيرى ، أو الكوكبى ، أو السيال ، أو المرن ، أو اللاعضوى ، أو الفوق النرى ، أو غير المنظور ... أو غير ذلك من الأوصاف التى

تطلق عليه ورد ذكره على لسان الكثيرين من المختبرين فى تحقيقات « روّى المحتضرين »[١] . وورد ذكره أيضاً على لسان المحققين العلميين فى الظواهر الوساطية المتنوعة . فأمره إذاً لم يعد مجرد أقوال يرددها المحتضرون ، أو الباحثون فى الظواهر المتنوعة بل لقد نجحت الكاميرا فى التقاط آلاف من الصور الحاسمة له تحت ظروف الاختيار العلمى الدقيق under test conditions فى العديد من مراكز البحث والهيئات الجادة تماماً فى بحث هذه الأمور . وهى قد قلبت رأساً على عقب الفلسفة المادية عن الوجود لتحل محلها فلسفة باذخة أخرى أثبت قدماً ، وأمنع جانباً ، من الفلسفة المادية التى كانت تسود دوائر العلم حتى عهد قريب .

وهذه الفلسفة الباذخة هى بعينها فلسفة الروح والخلود التى قامت عليها كل الحضارات القديمة بلا استثناء ، وكل الأديان المعاصرة والمندثرة ، الشرقية والغربية . وذلك منذ أن عرف وجدان الإنسان كيف يتجه إلى الإيمان بالله ، وبوجود نواميس أخلاقية كونية تتحكم فى مسيرة الأحداث وتسلسلها بحكم رابطة العلية الطبيعية .

ويمكن ابتداء التمييز بين نوعين من ظواهر التجسدات هذه : —

أولا : طائفة ظواهر التجسدت الصلبة التامة والجزئية Materialisations .

ثانياً : طائفة ظواهر التجسدات غير الصلبة أو الأثيرية Etherialisations ومنها تلك التى يطلق عليها وصف « الزوائد التصويرية » . وهى تمثل ظهور أطياف أثيرية أو مناظر ، أو كتابات ، أو رسوم ، أو أضواء شتى على الألواح الحساسة بدون تجسد تام ولا جزئى .

ثالثاً : كما يجمل أيضاً أن نورد طائفة أخرى من نوع ثالث يتضامن مع النوعين السابقين فى إيضاح هذا الكشف ومساندته . وهذا النوع الثالث هو صور الجسد الروحى فى ظواهر « الخروج من الجسد » O. O. B. E.[٢] التى نجحت الكاميرا فى

---

(١) وهذه الرؤى سنفرد لها باباً على حدة فيما بعد لفرط أهميتها واتساع نطاقها ، وهو الباب السادس .

(٢) Out of Body Experiences.

التقاطها لبعض الوسطاء وهم فى حالة التنويم المغناطيسى . وهو نفس الخروج من الجسد الذى تحدثت عنه أقوال المحتضرين وتناوله بالتعليق جميع العلماء المختبرين .

إلا أن الخروج هنا مؤقت لم ينته بالوفاة . أما فى ظواهر رؤى المحتضرين فقد كان الخروج مؤقتاً أحياناً عند النجاح فى إنعاش المحتضر ، وكان نهائياً فى أحيان أخرى عند الفشل فى هذا الإنعاش فانتهى الاختبار بموت المحتضر ، أى برحيله من عالم المادة إلى عالم ما بعد المادة الأرضية عن طريق هذا الجسد الروحى أو الأثيرى .

* * *

ولم يقتصر الأمر على التقاط صور متنوعة لهذا الجسد الروحى ، بل إن أبحاث العلم تجرى الآن سراعاً فى تحديد خصائصه ومزاياه وملكاته ، وعوامل ضعفه وقوته ، ومدى صلته بالصحة العضوية والنفسية . . . وغير ذلك من مباحث الطاقة الروحية التى أخذت تطفر طفرات سريعة منذ أوائل هذا القرن .

ومنها — على سبيل المثال — اختبارات حديثة أجراها تونى سكوفيلد T. Scofield لبحث مدى تأثير الطاقة المعالجة عند بعض الوسطاء فى سرعة إنبات البذور التى تعرضت لهذه الطاقة ، بالمقارنة مع تلك التى لم تتعرض لها . فكانت النتائج حاسمة ووفيرة لمصلحة نشاط هذه الطاقة الفريدة ، وصلتها بالجسد الأثيرى لصاحبها[1] .

وهذه الأمور لها صلة وثقى بموضوعات المواهب الوساطية ، والعلاج الروحى العديد من الأمراض العضوية والعصبية بأساليب متطوره . وهذا هو موضوع الباب الخامس الذى سوف يقتضينا وقفة كافية ، لفرط اتصاله بصحة المواطنين ، وتخفيف آلامهم ومتاعبهم من أيسر طريق فى العديد من الحالات .

---

(١) راجع فى هذا الشأن جريدة « الأنباء الروحية » Psychic News ١٨ مارس ١٩٨٩ ص ١ ؛ ٥ وفى بعض الأحيان كان الباحثون يعالجون البذور المعدة للإنبات بمواد سامة ، ومع ذلك نجحت الطاقة الروحية فى منع تأثيرها !! ...

أولا : طائفة من التجسدات الصلبة

٤ من عشرات من صور « كاتى كنج » متجسدة التقطت فى ضوء المغنسيوم الابيض بواسطة كاميرا عادية بمعرفة سيروليام كروكس

الوسيطة فى غيبوبتها على الكرسى إلى اليمين ، والروح واقفة إلى اليسار .

الروح متأبطة ذراع كروكس أبرز علماء الفيزياء فى القرن التاسع عشر

كروكس واقف إلى يمين الروح المتجسدة وكان كروكس عند ذاك رئيساً للمجمع العلمى البريطانى .

الدكتور جالى Gully الأستاذ بكلية الجراحين وهو يجس نبض الروح المتجسدة .

"One of the most remarkable pictures ever published" is Christopher Evans' description. It shows Crookes arm-in-arm with the materialised Katie King.

صورة أخرى عن قرب شديد توضح تجسد الروح كاتى كنج فى حضور الوسيطة فلورنس كوك . وهى تمثل الروح متأبطة ذراع سير وليام كروكس .

(عن جريدة « الأنباء الروحية » Psychic News عدد ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٧٥) .

عن قرب وجـه المركيزة دى سانت أمارانت — التى أعدمها الثوار فى سنة ١٧٨٩ متجسداً (جلسة ٢٦ فـراير سنة ١٩١٨) وسط لفائف الاكتوبلازم المنبعثة من جسم الوسيطة إيفا كاريير Eva Carriere داخل « المعهـد الدولى لما وراء الروح » Institut Metapsychique

إميلى دى سانت آمارانت فى طريقها إلى المقصلة (لوحة للرسام جاكوب فى متحف ديز استامب Des Estampes للمقارنة) .

وجه سير آرثر كونان دويل A.C.Doyle متجسداً ومن أسفل صورة عادية للمقارنة
عن كتاب العلامة الكندى جلين هاملتون Glen Hamilton

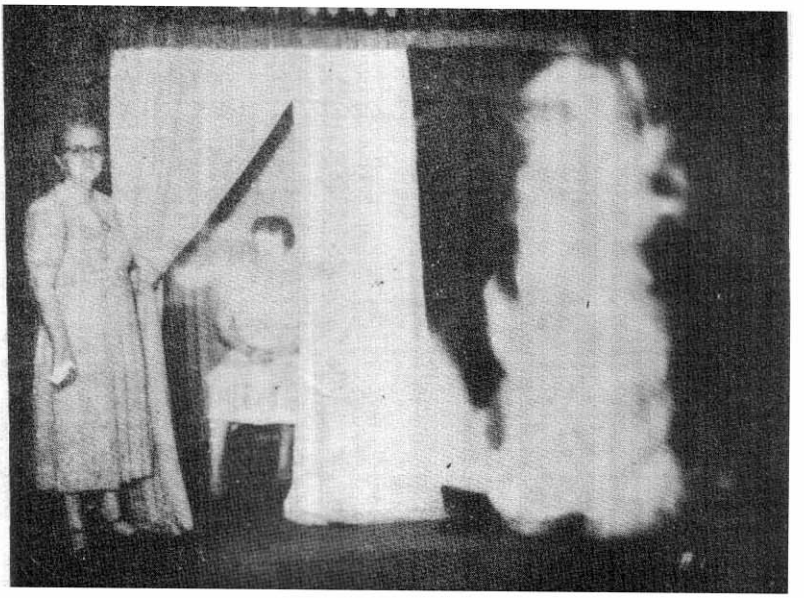

This, and the following sequence of seven photographs depict the whole process of materialising a spirit form. They were taken in about thirty minutes. An assistant holds the curtain to reveal the entranced medium Ethel Post-Parrish, of Pennsylvania, U.S.A.

A cloudy pillar of ectoplasm slowly builds from the medium to the height of a full-grown woman. Gradually the ectoplasm solidifies until finally the full figure emerges completely materialised. It is Silver Belle, an Indian girl said to be the medium's spirit guide.

مراحل التجسد للروح سيلفر بل Silver Belle فى حضور الوسيطة إيثيل بوست باريش E. P. Parish فى مخيم روحى فى بنسلفانيا Pensilvania بالولايات المتحدة ، وجرى التجسد فى سنة ١٩٦٤ أمام جمهور غفير .

لاحظ انبعاث الاكتوبلازم من الوسيطة وبدأ تشكله ، ثم عودته تدريجياً بنفس الطريقة إلى جسم الوسيطة فى الصور القادمة .

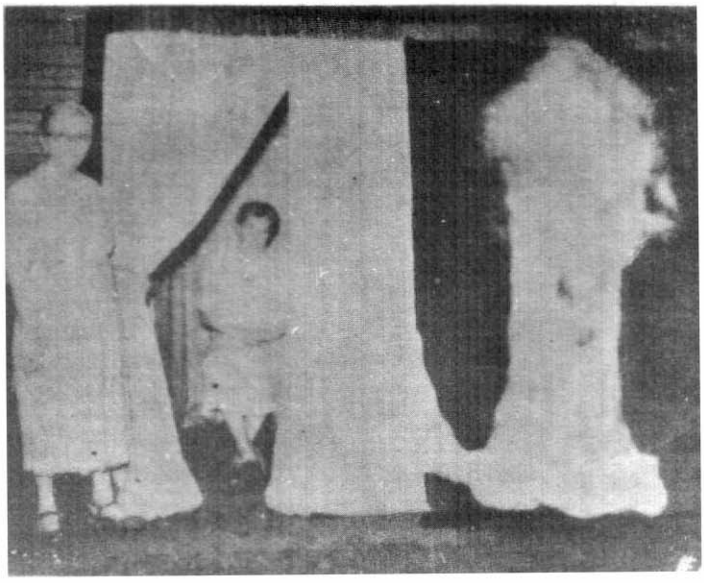

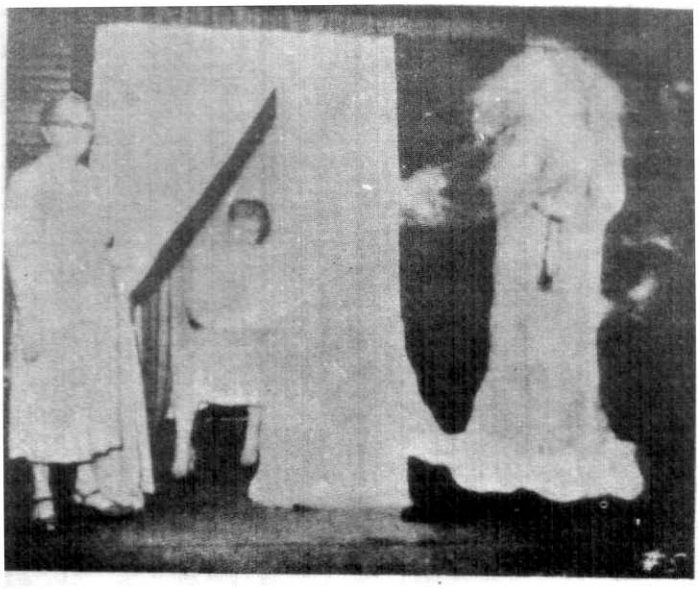

وانقاد نبع الروح صوب منادم فك الروابض فى قصى شعابه
والشائق المرموق فى أوج الذرى أذكى حنين الكون فى أعجابه !

(من روائع أحمد شوقى المملاة من عالم الروح . راجع القصيدة برمتها فى تصدير هذا الكتاب) .

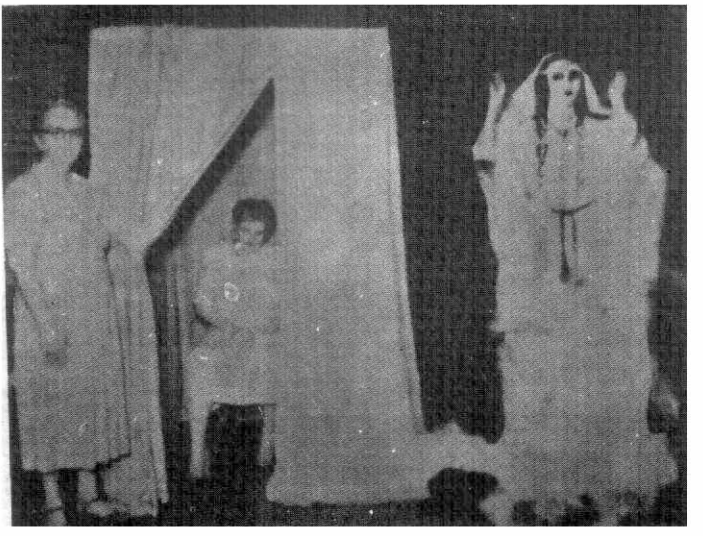

نفس الروح وهى تفقد تجسدها تدريجياً ، فيرتد الاكتوبلازم الأبيض والسيال الحيوى تدريجياً إلى جسد الوسيطة ، وذلك علناً وأمام جمهور من المشاهدين المذهولين ، والكاميرا تسجل كل شىء بدقة وبعناية . . كيف يمكن التدليس عندئذ ؟ !

حسناء تتجسد بدائرة علمية بمدينة تورينو عن طريق وساطة ليندا جازيرا

صورة تجسد مفلطح Plate التقطت بدائرة الدكتور ايمودا Imoda من علماء تورينو Turin بإيطاليا . وتبدو الصورة عملا فنياً ممتازاً . وكان النقاب الاكتوبلازمى الرمادى هو المادة الأساسية لهذا التجسد . عن كتاب للعالم الفرنسى جان فيليب كروزيه J. F. Crouzet : Les Merveilles du Spiritisme Paris 1965 P. 400 et ss.

فاتنة أخرى من الغيب تتجسد فى نفس الدائرة العلمية

صورة تجسد آخر مفلطح التقطت بنفس الدائرة الآنف الإشارة إليها ، وهى تبدو أيضاً كما لو كانت تمثل لوحة من صنع فنان عظيم (عن المرجع السابق) .

والروح من روض الخلود سلافه يجلو الظما ما كان من تسكابه
وغـــداً يهز العالمين . يقينه جهـــراً لصد معارض ومجابه

روح متجسدة تجسداً تاماً بهذا الرداء العجيب بدائرة فرانكلين الروحية بالبرازيل (عن نفس المرجع للعالم الفرنسى جان فيليب كروزيه) .

والعلم إذ يلقى الصدور مشوقة يرجع شفيف الطيف رغم ذهابه

طود الخلود منيعة أركانه والعون يرقى الصرح من أبوابه

صورة أخرى لنفس الروح فى نفس الدائرة
وهى ترتفع تدريجياً عن الأرض متحدية قانون الجاذبية

والروح هادٍ إن رعيت هداية ... وشجاك منه العذب ضمن عتابه
فأنشد حبيباً أو قريباً فى العـــلا ... وارشف حنان الحب من أكوابه

من حالات التجسد الحديثة فى الولايات المتحدة

What are supernormal photographs?

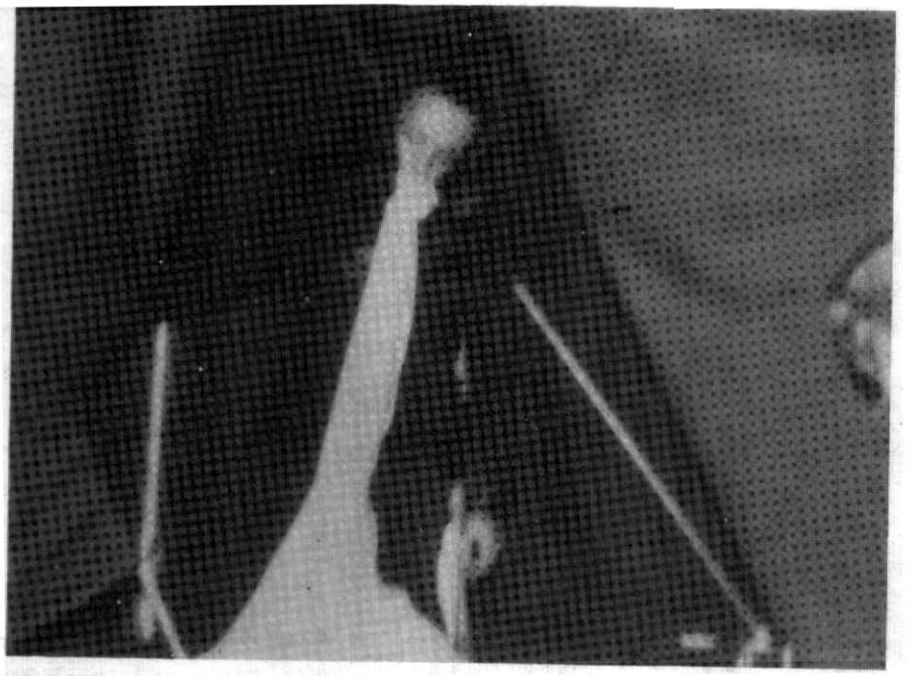

The silver cord flowing from the medium Rev Keith Milton Rhinehart to the fully formed materialisation can be clearly seen. The form then slowly dematerialised into a pool of ectoplasm on the floor. The seance room was illuminated at all times with either white light or 12 40-watt red lights and was photographed by many of those present with both regular and infra-red films (both photographs courtesy of Rev Keith Milton Rhinehart).

الوسيط كيث ميلتون راينهارت K. M. Rhinehart وهو فى غيبوبته ، والاكتوبلازم يتدفق من فمه متجهاً نحو الأرض .

روح متجسد مجهول الهوية من بين أرواح عديدة تتجسد علناً فى جلسات هذا الوسيط تحت الرقابة الدقيقة ، وفى حضور مشاهدين عديدين .

عن كتاب : Cyril Permutt :

Photographing The Spirit World.

(London 1988) p. 172. 173.

صنع نماذج دقيقة لأيدى وأقدام بعض الأرواح المتجسدة صنعت بمعرفة هيئات علميـــة جادة تماماً

نموذج طبق الأصل من الشمع ليد متجسدة فى حضور الوسيط البولندى فرانك كلوسكى F. Kluski تم صنعه — مع نماذج أخرى — فى شهر مايو سنة ١٩٢٢ داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى »

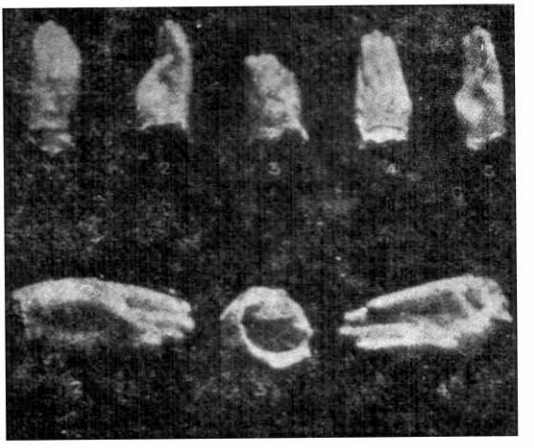

نماذج أخرى مجوفة من الشمع لأيد متجسدة تم صنعها داخل الكلية البريطانية مع نفس الوسيط .

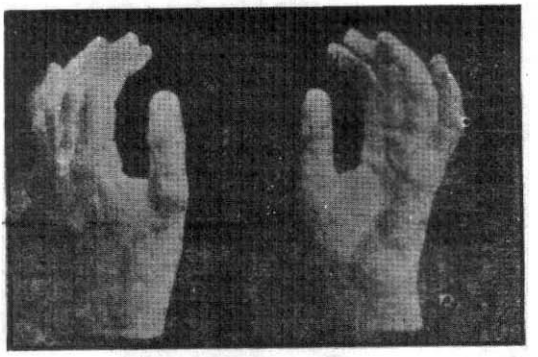

يدا الروح برتى Bertie

قدما الروح ليـــلى Lilly

نماذج من الشمع للأيدى المتجسدة والأقدام تم صنعها عن طريق الدكتور مونك . ووساطة مونك هذه خضعت أيضاً لبحوث علماء مدققين آخرين منهم الأرشيدياكون كولى Colley ، وسير ألفرد راسل والاس A. R. Wallace عالم البيولوجيا المعروف ، والأسقف ستانتون موزس S. Moses الأستاذ بجامعة لندن وغيرهم .

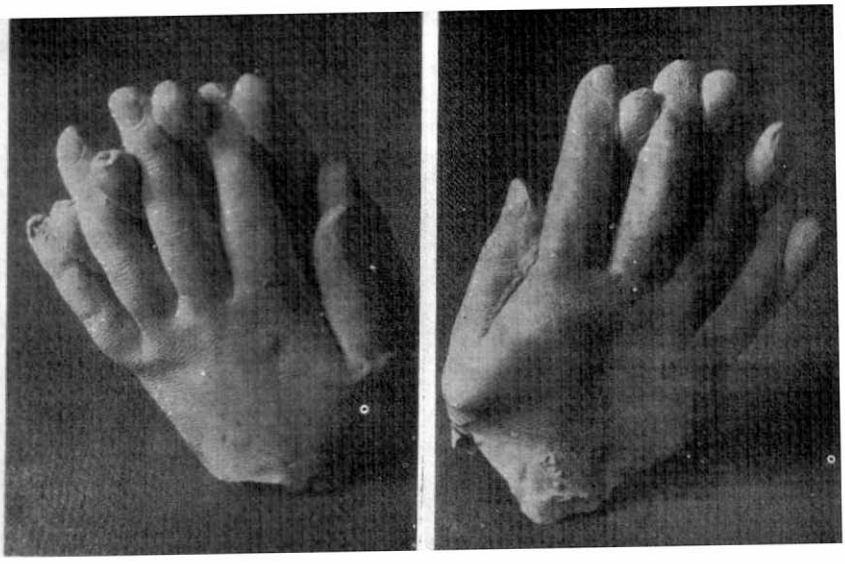

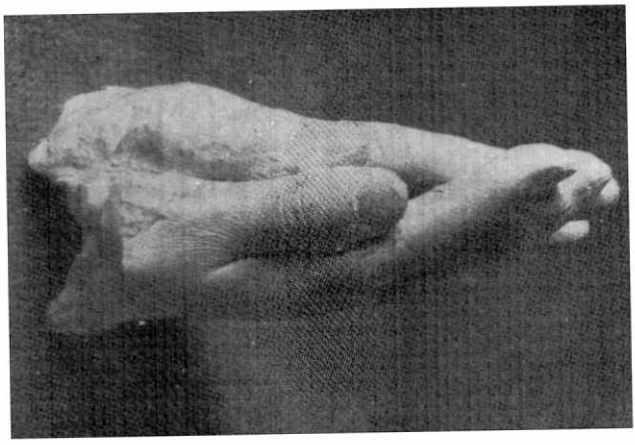

بعض النماذج الشمعية المجوفة التى صنعها الدكتور جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » فى حضور كلاسكى . لاحظ انثناء الأصابع وتقاطعها .

عن مؤلفه :

Essai d'Intérpretation Synthètique du Spiritisme. Paris 1925.

نماذج من تحقيقات البصمات ومضاهاتها

FIG. 20. WALTER MAKING A THUMB-PRINT.
Walter's hand (note the finger-nails) pulling the softened dental wax (kerr) out of the hot water. The wax is marked for identification before the experiment. This, and the next three pictures were all taken by white flash-light in the midst of good red light. The sitters saw what the camera records.

اليد المتجسدة للروح والترستنسون وهى تصنع بصمة للاصبع الإبهام فى معجون أسنان بعد تخفيفه بماء ساخن . وقد التقطت هذه الصورة ومعها ثلاث صور أخرى فى الضوء الأبيض الساطع ، وفى وسط ضوء أحمر كاف . وكان الجالسون يشاهدون نفس ما سجلته آلة التصوير . عن مجلة « العلم الروحى » الربع سنوية الصادرة عن « الكلية البريطانية للعلم الروحى » (عدد يولية ١٩٢٨ ص ٨٧ — ١٦٠) .

من تحقيقات البصمات (عن نفس المرجع)

FIG. 16. CAST OF WALTER'S HAND FROM A WAX " GLOVE."

The skin thumb-prints of this cast are the same as obtained two years later seventy times in dental wax.

من نتائج التحقيقات الروحيـة مع السيدة مارجرى عقيلة الدكتور كراندى استاذ الجراحة بجامعة هارفارد .

قفاز من الشمع ليـد الروح المتجسد وقد اتضح ان به بصمات مطابقة بدورها لصورة البصـمات السبعين التى التقطت بعد عمل هـذا القفاز بسـنتين .

من تحقيقات البصمات متابعة (عن نفس المرجع)

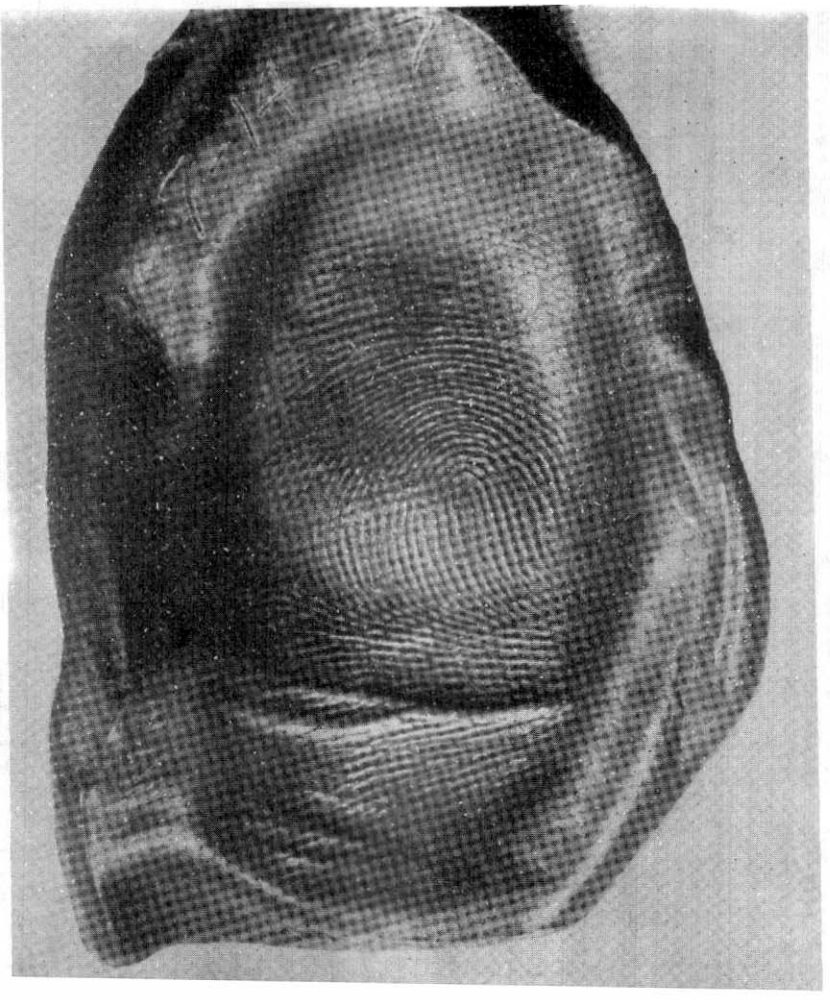

FIG. 17. ENLARGEMENT OF A CHARACTERISTIC "WALTER" THUMB-PRINT, OF WHICH SEVENTY HAVE BEEN OBTAINED.

Experts all declare these to be valid prints made by direct contact with human skin. Two such prints were made with Margery lashed (head, hands and feet) in a locked, searched room, with no other person present but the finger-print expert.

تكبير لبصمة إبهام الروح والتر . وقد قرر جميع الخبراء أن هذه البصمة صحيحة ، جاءت من ملامسة مباشرة لبشرة إنسانية . وقد صنعت بصمتان مماثلتان لهذه بعد تقييد أطراف الوسيطة (الرأس ، واليدان ، والقدمان) فى غرفة مغلقة بدون حضور أى شخص آخر إلا خبير البصمات .

متابعة لتحقيقات البصمات

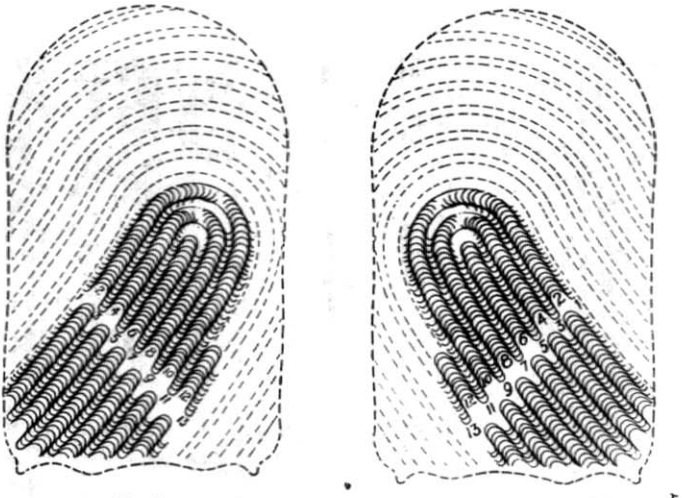

Fig·1
Normal Positive

Fig·2
Mirror-Reversed Positive

Fig. 19.

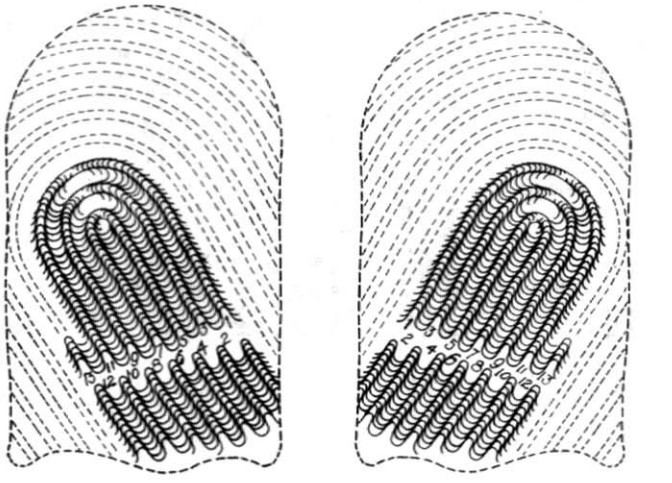

Fig·3
Normal Negative

Fig·4
Mirror-Reversed Negative

Fig. 18.

دراسة فنية لبصمة الروح والتر ستنسون ، وقد جرت بمعرفة خبير البصمات ، بعد المضاهاة على بصمات صاحبها عندما كان ما يزال حياً ! ! . . (عن نفس المرجع) .

ثانياً : طائفة من ظواهر « الزوائد التصويرية »

روح تظهر متجسدة مرتدية رداء طافياً فى الهواء فى حضور الوسيط البريطانى هدسون Hudson عن كتاب :

To.n Patterson : 100 years of Spirt Photography 1985 .

(لوحة رقم ٥ ص ٥)

وقد ظهر هذا الكتاب الثمين بمناسبة مرور مائة عام على بدء التحقيقات العلمية فى هذه الظواهر الخطيرة ، وكانت نتائج التحقيقات كلها كأنها صواعق متلاحقة نزلت على قلاع المادية والإلحاد فى الغرب .

السيد ادجار أوين E Owen جالساً وإلى يمينه روح والدته الراحلة منذ ٣٥عاماً سابقاً على التقاط هذه الصورة بمعرفة الوسيط البريطانى فيرنكومب Vearncombe فى سنة ١٩١٥ .

(عن المرجع السابق لوحة رقم ٧ ص ٧) .

Fig. 15
A photograph which made psychic history. With her daughter Vi, as the sitter, Mrs. Deane, captures a remarkable picture of a beautiful spirit together with Vi's Indian Guide.

طيف جميل يظهر تلقائياً على اللوح الحساس فى حضور الوسيطة البريطانية السيدة آدا إمادين A. E. Deanne وكريمتها السيدة ف الجالسة فى الوسط ، كما ظهرت أيضاً صورة وجه روح هندى كان مرشداً لهذه السيدة الأخيرة ! ! . .

(عن نفس المرجع لوحة رقم ١٥) .

ما طاق صبراً فى المشيَّد من وعى أن التجاهد للثرى ويبـــابه
صاح : بحق المرسلين وصحبـــة حلوا الرحاب بعجبـــه ومهابه
ما قام نص بالقرائن فى الـــردى يطوى شهاب الروح فى أسرابه

Each spirit face was recognised as one having died some years previously. The sitter is Mrs. Mary MacPherson of Canada.

(عن نفس المرجع لوحة رقم ٢١) .

فالجسم يهرأ فى الغداة برقدة والروح يمرح ناعماً بشبابه
والمرء إن يوماً تغيَّب فى الثرى ما عُدت الأرواح من غيَّابه

(من روائع الشوقيات الروحية)

Fig. 23
The camera did not register the two sitters but several spirit faces appeared. Photographs of the sitters have been super-imposed.

(عن نفس المرجع لوحة رقم ٢٣)

يوم انطلاق الروح من أسر البلى يغدو طليقاً من ضنى بوابه
تا الله ما يرضى الخلود بصفده بعد التملص من عرى أوصابه

A. Mrs. Harris (Standing) and two friends. The 'extra' is Mrs. Harris' mother.

B. A medium friend of Mrs. Harris. The 'extra' is Mrs. Harris' dead brother.

C. Mrs. Harris, seated. The woman and man had been friends of Mr. Hope's wife.

D. Two friends of Mrs. Harris. The 'extra' is their dead brother.

أربعة نماذج أخرى من نفس الظاهرة عن كتاب :

George Meek : From Seance to Science (London 1973) p. 145

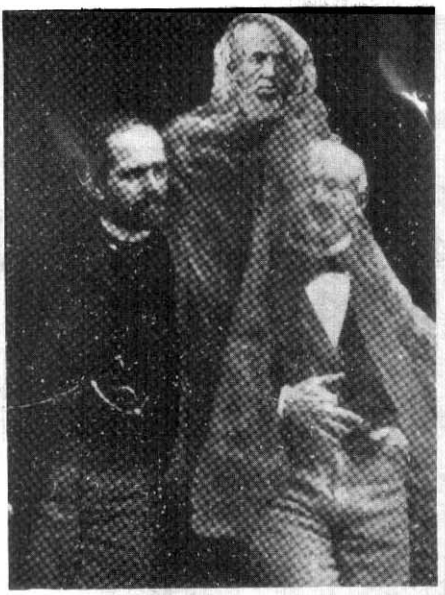

Top left *Mr Petch with the spirit photograph of his mother. Photograph by E. Baguet, Paris, February 1874.*

Top right *Psychic photograph by Monsieur E. Baguet of Paris.*

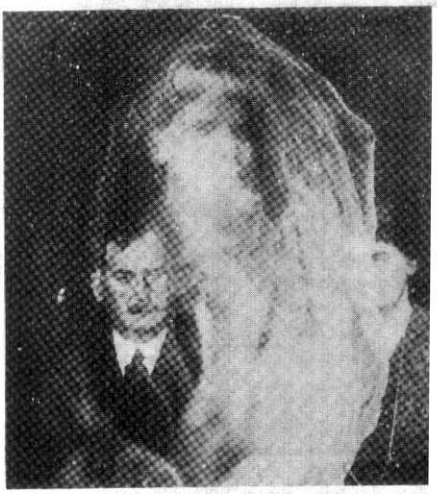

Left *William Hope's portrait of Mrs Longcake and the psychic image of her deceased sister in law.*

Right *In this William Hope photograph of Mr and Mrs Jeffrey a face can be seen in the veil. Mr West, a Kodak executive, was present.*

ثلاثة نماذج أخرى من ظاهرة الزوائد التصويرية عن كتاب : سيريل برموت المرجع السابق . وهو أحدث كتاب فى هذا الموضوع (ص ٢٣) .

Portrait of Professor T. Fukurai with psychic extra and message 'Je connais ce monsieur' taken by William Hope on September 29 1928.

Major C.H. Mowbray and friend. This photograph with the recognised and identified extra male image was produced by William Hope under the most stringently controlled conditions (courtesy of Mrs Simmons).

نموذجان آخران من نفس الظاهرة عن نفس المرجع (ص ٢٩) .

فى مرتع الأحياء دفاق المدى والروح يمرح فى محيط حبابه

بالشم يأنف أن يُغـــلّ كأنه جسم ثوى فى غامر وترابـــه

The sitter, Dr John Winning, is completely obliterated by the spirit lady and the cloud of ectoplasmic lights seen in this photograph taken with a quarter-plate camera at the medium's home at 10.10 pm on January 18 1964 and developed immediately.

Beyond the spectrum

Psychic photograph of an airman who lost his life at Standstead Airport. Taken at Stanstead Hall in the first week of August 1965 with a healer as the medium. Exposure $\frac{1}{15}$ second at f11 in a darkened room.

نموذجان آخران لنفس الظاهرة عن نفس المرجع (ص ٨١ ، ٨٦) .

والروح يهرع للأليف إذا دعا مستهدفاً من دون ما إرهابه

طلق الغدو أو الرواح وإنه إن شاء غرد مطرباً لصحابه

(والإشارة هنا إلى ظاهرة الصوت المباشر) .

عدة نماذج أخرى من نفس الظاهرة عن نفس المرجع (ص ١١٦) .

أو شاء أظهر فى بهـــاء قوامه وكأنه فى الحى من أربابـــ

سار كما يسرى النسيم بغير ما عادٍ يرد عن المزار وبابـــ

(من روائع الشوقيات الروحية التى فحصها أكثر من عشرين عالماً)

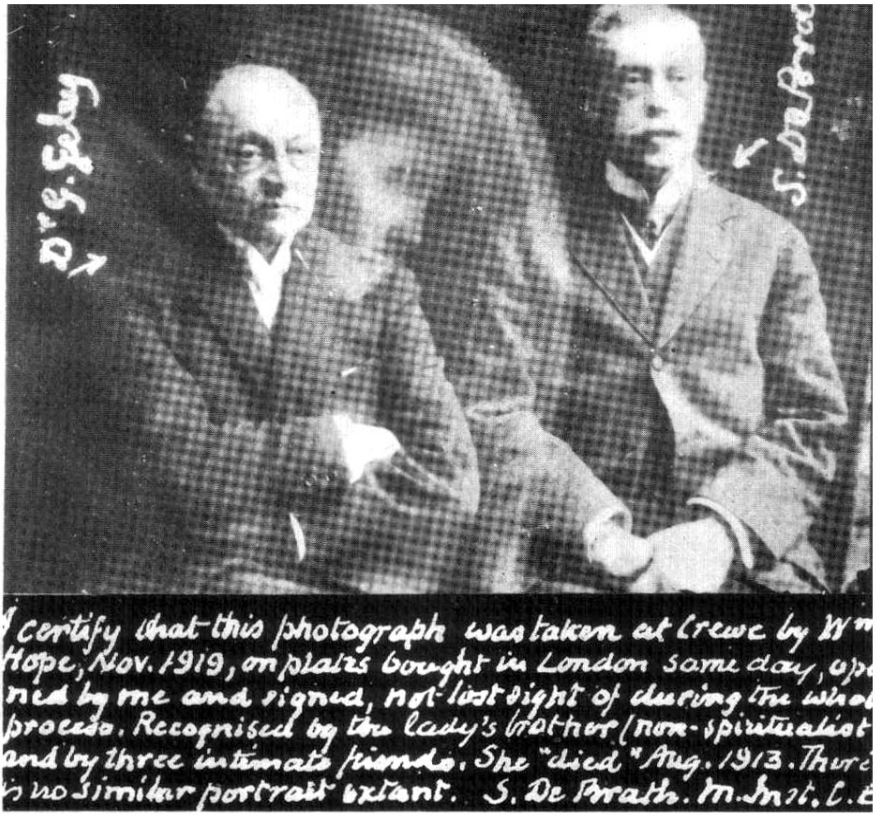

نموذج آخر من نفس الظاهرة عن طريق وساطة وليام هوب W. Hope . وقد التقطت هذه الصورة فى نوفمبر سنة ١٩١٩ . تجد إلى اليمين ستانلى دى براث S. de Brath مدير « الكلية البريطانية للعلم الروحى » بلندن، وإلى اليسار الدكتور جوستاف جيلى G. Geley مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس .

وقد ظهر فيه طيف لسيدة توفيت منذ سنة ١٩١٣ . وجرى التصوير بعد اتخاذ إجراءات صارمة للرقابة على صحة الظاهرة ، ولدرء كل دفع بالخطأ أو بالتدليس (عن نفس المرجع ص ١٤٧) .

THIS was the resulting photograph when Ernest Hayward, former assistant director at the Admiralty, and his wife sat with medium Ada Deane. The spirit extra shows their "dead" daughter Cecily.

تجسد وجه الروح سيسلى Cecily كريمة الأدميرال إرنست هايوارد E. Hayward
مساعد رئيس البحرية البريطانية فى حضوره مع قرينته عن طريق الوسيطة آدا ايما دين

يا سارياً ما الروح فى ريعانه ينسل فى قزع العلا وضبـــابه
إلا ليكشف ما تبلج هائماً فى الخلد ينعم بالجنى وعـــذابه

(من روائع الشوقيات الروحية المملاة على الوسيطة الفاضلة حرم المرحوم د. سلامه سعد. راجع القصيدة برمتها فى تصدير هذا الكتاب) .

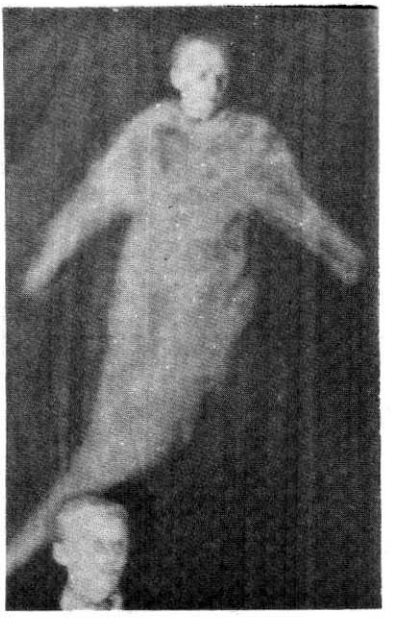

صور فوتوغرافية نادرة تمثل طرح المقابل أو الجسد الكوكبي من الجسد المادى عن طريق التنويم المغناطيسى . يلاحظ التطابق التام فى ملامح الوجهين (عن كتاب العلامة راؤول مونتاندون « العالم المجهول ونحن » . ج ٢ . أشكال متجسدة . طبعة ١٩٤٦ ص ١٦ ، ١٧ ، ٢٥٧) .